الميزاب الذهبي

ALTINOLUK

مجلة تصدر كل شهرين-العدد السادس عشر(أيلول - تشرين الأول ٢٠١٦)

بنور الخير

سلطان العارفين

الأستاذ

محمود سامي

قدس سره

بسم الله الرحمن الرحيم

إن التصوف يُعد بمثابة منجم أو موقد التربية. حيث يُستخرج فيه من الإنسان الخام إنسان كامل.

هناك أمر مهم في هذا الموقد ينبغي توفره بالنسبة للمرشد والمريد، فأما بالنسبة للمرشد فمن المهم أن يكون متمتعاً إلى جانب صفة "الكامل" بصفة "المكمل"؛ أي "أن يكون أهلاً للإيصال إلى الكمال". وأما المريد فمن المهم أن يكون صدقه، وإخلاصه، وتصميمه، وهمته؛ وباختصار استعداده وملكته بقدر ما لدى المرشد. إن هذه الخاصية التي يُراد لهذين الطرفين التمتع بها غير قابلة للتحقق بشكل دائم ولدى كل إنسان بالحد المطلوب.

ولهذا يمكن القول بأن في الأمر جانب قدري، وبالتالي فهي مسألة حظوة قد يحظى بها إنسان ما. فما أكثر المرشدين الكاملين الذين جاؤوا إلى هذه الدنيا إلا أنهم لم يجدوا حولهم مريدين يتمتعون بالاستعداد الكافي، وفي نهاية المطاف خمدت نيرانهم وأُغلقت مواقدهم. وبالمقابل كم وُجد من القلوب المستعدة الطالبة للتربية والتدريب، إلا أنها لم تتمكن من العثور على الكامل والمكمِل الذي تسلم نفسها إليه.

إن كل إنسان مكلف بعد أداء المهمة الملقاة على عاتقه، والتحري، وإظهار الصدق والجهد المطلوب، مكلف بالقبول والرضا بما قسمه الله تعالى له وبصرف كل طاقته في سبيل ذلك.

إذا ما نظرنا إلى التاريخ نجد بأنه من النادر ظهور المرشدين الكاملين والمكملين عبر العصور من أمثال الإمام الرباني وخالد البغدادي الذين ربوا وأعدوا المئات من الأخلاف الكاملين. وها هو **سلطان العارفين محمود سامي رمضان أوغلو** – قُدس سره – واحد من هؤلاء السعداء المحظوظين. يقول **صاحب الوفا موسى أفندي** – قُدس سره – الذي يُعد خير خلف له:

"أحياناً يصير الإنسان كاملاً، إلا أنه يعجز عن نقل كماله وجماله هذا إلى غيره. ربما هو إنسان صالح وجميل في حد ذاته، إلا أنه يُعد ناقصاً من هذه الجهة التي ذكرناها. وذلك لأنه ينبغي مشاركة الجمال والإحسان الذي تفضل الله به علينا مع عباده الآخرين، والعمل على أن نكون وسيلة لجعلهم أيضاً من أهل الحق".

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبيِّنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

كلمة التحرير

الميزاب الذهبي

مجلة تصدركل شهرين

العدد السادس عشر

(أيلول- تشرين الأول ٢٠١٦)

رئيس التحرير

بيت اللهّ دميرجي اغلوا

مدير التحرير

حسام يوسف

هيئة التحرير

بيت اللهّ دميرجي اغلوا

حسام يوسف

آدم أزدمير

د. مراد قايا

التصحيح والتدقيق اللغوي

أ. حسن مرشد

أ. محمد عز الدين سيف

التصميم والتنضيد والاخراج الفني

حسام يوسف

إدارة المجلة.

Organize Sanayi

Bölgesi Turgut Özal Cad. No: 117/2-C

Başakşehir / İstanbul Tel:0090 212 671 07 00

دار النشر والطباعة

Erkam Matbaasi Organize Sanayi.

Bölgesi Turgut Özal Cad. No: 117/2-C

Başakşehir / İstanbul Tel:0090 212 671 07 00

الإشتراك

لكي تصلكم المجلة بشكل دوري

يمكنكم الإشتراك سنوياً بمبلغ ٣٠ دولار

كما يمكنكم المساهمة بإرسال المقالات والملاحظات على عناوين المجلة

للمراسلة

almizab2011@hotmail.com

almizab2011@gmail.com

المحتويات

التعصب المذهبي

الأستاذ/ علي هُسرو أوغلو

ولا تحسبن الله غافل عما يعمل الظالمون

بروفسور د. لطف الله جيبيجي

خير أمة

الأستاذ: عثمان نوري طوبّاش

الحجاب ومكيدة الشيطان

الدكتور: كريم بولادي

افتتاحية العدد	١	الحجاب ومكيدة الشيطان	٣٤
سامي أفندي وموقفه من التعصب المذهبي	٣	تزكية النفس في القرآن الكريم	٣٧
حياة عائلة قائمة بين يدي الله	٧	الدنيا	٣٩
ولا تحسبن الله غافل عما يعمل الظالمون	١١	فاتورة الاغتراب	٤٠
من قل أدبه حُرم من لطائف ربه	١٤	الأهداف والوسائل	٤٤
ذكريات	١٨	الصورة الإجتماعية لشخصية المسلم	٤٨
خُلق البذل بالنفس	٢٠	نقطة السويداء	٥٠
الألفة والمحبة	٢٤	مسكين	٥٣
خير أمة	٢٨	اختبار الذكاء والآخرة	٥٤

ملاحظة: المقالات المنشورة في هذه المجلة تعبر عن رأي أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

سلطان العارفين

الأستاذ محمود سامي قدس سره

وموقفه من التعصب المذهبي

علي هُسرو أوغلو

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ (الحج: ٧٨)

إذا أمعنا النظر في الآية الكريمة نلاحظ الأمور الآتية:

١. إننا مكلفون بالعمل وبذل الجهد في سبيل الله ﷻ حتى نصل إلى مرضاة الله ﷻ، وحتى نبدو أهلاً ليستعملنا الله ﷻ في خدمته، نصبح رجال الله وفق شروط. ٢. إننا أمة مختارة من عنده سبحانه فحسب، وينبغي لنا دفع ثمن هذا الاختيار. ٣. إن الدين الذي أرسله إلينا ليس فيه مشكلات ومصاعب وتعقيدات؛ دينٌ قائمٌ على أسس "التيسير والرحمة"، وهو الدين الوحيد الذي لا ثاني له. ٤. وهذا الدين إنما هو دين أبينا إبراهيم عليه السلام. ٥. لقد سمانا صاحب هذا الدين منذ القديم باسم "المسلمين"، فلن يكون أي اسم آخر أعظم من هذا الاسم بالنسبة لنا. ٦. كل هذا ليكون آخر الأنبياء ناظراً وشاهداً علينا. ٧. ولنكون نحن بدورنا شهداء على جميع الناس. ٨. والسبيل السليم لهذا يكون من خلال إحياء الصلاة التي تمت إماتتها وإخراجها من الحياة وإقامتها من جديد، أي بالتخلص من كل شيءٍ وكل إنسان لا يحبه الله تعالى. ٩. ومن خلال مد جسور الزكاة بين الأغنياء والفقراء، وعدم ترك أي إنسان فقير ومهضوم الحق. ١٠. وكذلك من خلال الاعتصام بالله والتوكل عليه بكل معنى كلمة، أي بالالتزام بأوامره لدرجة التقوى، والدخول تحت حمايته ورعايته. ١١. فالله ﷻ هو مولانا الوحيد. ١٢. وهو نعم المولى. ١٣. ونعم النصير والمعين.

فهذه هي المهام التي كلفنا الله تعالى بها، والمنزلة التي رآها لائقة بنا على وجه الأرض، والاسم الذي سمانا به، والبرنامج الذي أرسله إلينا، والهدف الذي أرانا إياه.

عندما ننظر إلى واقع الحال من خلال سياق هذه الآية الجليلة، فإننا نلاحظ بأن الصورة التي أظهرها المسلمون للعالم قاتمة وصادمة ومحزنة لدرجة لا توصف. لقد خلق الله سبحانه وتعالى النسل البشري من آدم عليه السلام، وخلق آدم من تراب، وجعل الناس أقواماً وقبائل كثيرة ليمتلك الإنسان غنى وتنوعاً ثقافياً هائلاً، ويدرك كل قيمة من القيم ضمن إطارها وينتفع بها.

فهذا الأمر ضروري بالنسبة لنا نحن البشر.

* إلا أن الإنسان العاجز حتى عن تحديد العرق الذي ينحدر منه بشكل قطعي، قد جعل من انتمائه العرقي سبباً للشعور بالتميز والتفوق، والاعتزاز بنفسه، ومبرراً للتفريق العنصري والعرقي والنظر إلى الآخرين نظرة احتقار ودونية. ينبغي أن يفهم الناس ماذا يعني وجود السود في أمريكا، والبيض في أفريقيا. فالتنوع العرقي واقع قائم لا مفر منه، وأما التمييز العرقي فهي الطامة الكبرى والبلاء العظيم على الإنسانية..

بعد أن أنزل الله تبارك وتعالى كتابه العزيز وأوصله إلى الناس عن طريق النبي عليه الصلاة والسلام، بعث بالأئمة المجتهدين الذين غاصوا في أعماق تعاليم الرسول عليه الصلاة والسلام، وحولوها في مراحل زمنية إلى صيغ تطبيقية في إطار حقائق الحياة. لقد أوجد هؤلاء المجتهدون الذين يُعدُّ كل واحد منهم من كبار أهل الله حلولاً للمشاكل الآنية التي تعترض المسلمين وللمعضلات والمشكلات الافتراضية التي قد يواجهها المسلمون في المستقبل. وهنا لا بد لنا أن نستذكر واحداً من أهل الله الذي أدركنا الذكرى السنوية الثلاثين لرحيله إلى جوار ربه سبحانه وتعالى، ألا وهو محمود سامي رمضان أوغلو:

ظل محمود سامي أفندي مشغولاً بكتاب الله تعالى طيلة عمره، إذ لم يفارق القرآن عينيه ولا قلبه. وقد نذر حياته كلها لله تعالى، فأصبح رجلاً بكل ما للكلمة من معنى. لم يتهاون ولم يتنازل أبداً عن معتقداته وعن الاصطباغ بمقتضياتها في معاشه. وعلى الرغم من أن حياته كانت في زمان موبوء بالكوارث الكبيرة، إلا أنه ودع الحياة الدنيا وقد أدى المهمة الملقاة على عاتقه على أتم وجه. ولم يكن يقصِّر أبداً في أحاديث رسول الله ﷺ. فكان يظهر احتراماً فائقاً لكل حديث من الأحاديث النبوية، ويقر به إقراراً تاماً، وكان يقرؤه ويفهمه ويشرحه للناس بقصد الاصطباغ به في حياته. وكان من هذه الناحية يعيش حياته وكأنه تحت أنظار رسول الله عليه الصلاة والسلام دائماً.

إن المحب لرسول الله عليه الصلاة والسلام يكن الحب والاحترام لأصحابه الكرام أيضاً. لأن الله تبارك وتعالى بعد أن ذكر النبي عليه الصلاة والسلام في كتابه العزيز، ذكر أصحابه أيضاً. وبناءً على ذلك فقد كانت كافة أحاديث سامي أفندي تحتوي حتماً على شيءٍ من كتاب الله وسنة رسوله ومناقب الصحابة. وقد كان يجد الحلول لأعقد المسائل من

خلال هذه الثلاثية، أو واحدة من هذه الثلاثية، وينقش هذه الحلول في قلوب المستمعين.

لقد توقف لسنوات طويلة على مسألة مشاعر الأخوة التي عجزت مجتمعاتنا عن تحقيقها إلى هذه اللحظة، وقد جعل سورة يوسف موضوعاً لأحاديثه ومجالسه لسنوات عديدة من أجل تكوين هذه المشاعر. لم يُعرف عنه أنه قال لأحد من الذين ينهلون ويستفيدون من فيضه: "أنا الوحيد على الصواب"، أو "انظر؛ إن الآخرين سائرون على منهج خاطئ". ولم يفكر أبداً في قول:

"إن بضاعتي هي البضاعة الطيبة والحلال، وبضاعة غيري مشبوهة".

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (الجاثية: ٢٣)

لا يستطيع أغلب الناس عموماً الجمعَ بين نعمتين مختلفتين عن بعضهما. وقد قال الله سبحانه وتعالى أيضاً في الحديث القدسي ما يمكن أن نرى فيه إشارة إلى هذا الأمر: "لا أجمع على عبدي خوفَين و لا أجمع له أمنَين...". لذلك ينبغي لكل إنسان أن يبحث عن مشرب يلائم طبيعته، وأن يتقدم في ذلك المشرب ويصبح عبداً لله تعالى كما يليق به. وهنا أود أن أسرد عليكم ذكرى من ذكريات عبد الله الإزميري إذ يقول:

ولكن أقول هنا وبكل أسف وأسى أن هناك الكثير ممن يضع مذهبه أو مشربه مكان الدين دون الاستناد إلى دليل شرعي صحيح، وينبذ أصحابه. ويرى إخوته الذين ينطقون بكلمة التوحيد ذاتها على ضلال، وكأن الجنة قد خصصت له، وبالتالي يحسم المسألة وفقاً لهواه، ولا يتوانى عن الإتيان بأدلة على هذه التوجهات الخطيرة والمرعبة من القرآن الكريم. إن هذه الحالة قد حوَّلت الدين لدى هؤلاء إلى نوع من الهزل والسخرية. ويقول الله تبارك وتعالى عن أمثال هؤلاء:

"كنت أعمل بائعاً متجولاً في إزمير، وفي فترة شبابي كنت أتلقى دروساً من وليٍّ صالح كان يسكن في حيِّنا. وذات يوم وبينما كنت أقف بجانب عربتي مرَّ من أمامي رجلان يتحدثان في موضوع ما، وسمعت منهما اسم سامي أفندي. لم أكن قد سمعت بهذا الاسم في حياتي إلى تلك اللحظة، ولم أكن أعلم عنه شيئاً. إلا أن حال انتابتني في اللحظة التي سمعت فيها هذا الاسم، واتقد شيءٌ داخلي. لقد أصابتني لوعة شوق ومحبة، فبدأت بالبحث عنه وجمع المعلومات. ولكنني ما عرفت مَن أسأل، وكيف، وما الجواب

الذي سوف أتلقاه في زمن يُحظَر فيه حتى قول كلمة (الله)؟

لم أيأس؛ ومن خلال متابعة التقصي والاستفسار عرفت بأنه في أضنة، فذهبت بالقطار إلى أضنة. وكان من العسير هناك أيضًا العثور على رجل عارف. إلا أنني كنت مصمماً على بلوغ غايتي، فبقيت أبحث حتى وجدت بيته. فاستقبلني، وسألني خلال اللقاء عن سبب قدومي إليه، فأخبرته بأنني جئت من أجل تلقي دروس منه. فسألني عما إذا كنت في السابق قد تلقيت دروساً من أحد أم لا، فأخبرته بأنني أخذت دروساً، وذكرت له اسم الشيخ. فقال: (قيل لي: "عندما تُعطَى هذه الأمانة، فإنك لن تلقِّن الدروس لأي شخص له انتساب سابق"، فليست لي صلاحية تلقينك دروساً). لما سمعت هذه الكلمات من فم الشيخ سامي أفندي- ولم أكن أفهم حينها ماذا تعني هذه الكلمات - أحسست برغبة في البكاء شديدة، وسقطت على الأرض مغشياً مغمىً عليَّ من شدة حزني وكدري، إذ لم أعلم ماذا ستكون حالي إن غادرت المكان دون أن أتلقى دروساً من ذاك الإنسان. بعد أن أفقت، واستعدت وعيي، أجلسني أمامه وقال: (الآن زال المانع، أستطيع تلقينك الدروس) ثم تلقيت منه الدروس.

لقد كان أرق الناس الذين عرفتهم في حياتي طبعاً وأعظمهم أدباً، لكنه لم يصف لي تلك الرابطة المعنوية بيننا، وقال لي: "عندما ترحل من هنا سوف تمر في طريقك بقونيا، ثم تتجه بعدها إلى إزمير". فمررت بقونيا، وبحثت- بناءً على أمره- عن السيد مصطفى دوغاناي رحمه الله والتقيت به، فعرفت بأنه طلب مني المرور بقونيا لكي يصف لي تلك الرابطة. ثم ذهبت إلى إزمير، إلا أن إزمير الكبيرة مترامية الأطراف ضاقت عليَّ ولم تعد تسعني. وما إن سمعت بأنه هاجر إلى إسطنبول واستأجر داراً في حي لالي، حتى جمعت أشياءي وأسرعت بالذهاب إلى إسطنبول، فاستأجرت بيتاً قريباً منه، وشرعت أحرص على حضور مجالسه".

لا تنتهي ذكرياته هنا، وإنما يهاجر في وقت مبكر إلى المدينة المنورة، ويرافقه في خمسة وعشرين حجة، ويقوم بخدمته. والآن ينام بجواره في جنة الباقية. نسأل الله تعالى أن يكون مقامهم الجنة.

وفي الختام لا بد من التذكير بإن الخلاص الوحيد للعالم أجمع إنما هو الإسلام، إذ إن الدين الوحيد الذي يعترف بحق الحياة والبقاء للعقائد والأفكار المغايرة له، وفوق ذلك يأخذ على عاتقه مهمة حمايتها إنما هو دين الإسلام. واعتدال الإسلام بعمومه سواء أموره الواردة في القرآن وغير الواردة فيه، لا يمكن أن يصبح تطرفاً. فالإسلام هو ما ذكره الله تعالى في كتابه، وما علمه لأنبيائه ورسله، والإسلام كلٌّ بكتابه، وسنته، وأمته وغير قابل للتجزئة. والذي يقوم بمحاولة تجزئة هذا الكل وتفتيته، فإنه في واقع الأمر يجزِّئ نفسَه، ويزيل احترامه. وأذكر في هذا المقام الحديث النبوي الشريف الذي كان شيخنا سامي يردده بين الحين والآخر: "من أسخطَ اللهَ في رضا الناس سخطَ اللهُ عليه، وأسخطَ عليه من أرضاه في سخطه، ومن أرضى الله في سخط الناس رضي الله عنه، وأرضى عنه من أسخطه في رضاه".

وبناءً على ذلك ينبغي أن يتحرك الإنسان، ويُعِدَّ حساباته دائماً وفق ما يرضي الله. وإذا ما نظرنا إلى المسألة من هذه الناحية فيمكننا القول عن سامي أفندي بأنه: كان واحداً من أهل الله الكاملين والذي لم يغفل يوماً ما عن عبوديته لله تعالى في أي ظرف، وأي مقام كان، ولم يغفل لحظة عن أنه سوف يلقى الله تعالى ويقف بين يديه للحساب، ولم يشغل نفسه بالاهتمام الذي كان يلقاه من محيطه، ولم يقدِّم أي تنازل عن أي مسألة من مسائل دينه وواجباته ولم يتهاون فيها أبداً. .

حياة عائلة

قائمة بين يدي الله

يُعد الشيخ سامي أفندي واحداً من أهل الله الذين نقلوا لنا الأوصاف والشمائل النبوية إلى زماننا هذا. وسيكون البنيان الأسري الذي يُستوحَى من حياته الأسرية بنيانَ الأسرة المحفوفة بنفحات روح النبي عليه الصلاة والسلام. فما أسعد أفراد تلك الأسرة الذين أنعشوا قلوبهم بتلك النفحات النبوية الندية...

أحمد طاش غاتيـــــران

بدأ محمود كيراز أوغلو حفيد الشيخ سامي حديثه في الاجتماع الذي عُقِد في باغلار باش بإسطنبول بتاريخ ٦ شباط ٢٠١٣ بالقول:

"هناك مثل أجنبي يقول: (إن أي مَلِك لا يكون مَلِكاً في نظر خادمه). والسبب أن الخادم ويطَّلع على سائر أحوال حياة الملك؛ قيامه وجلوسه، ومأكله ومشربه، وحالات استرخائه...، ويرى حتى كثيراً من عثراته وأخطائه."

ويوجد قول مشابه لهذا وهو:

"لا يصبح الإنسان نبياً في قريته."

لذلك فإن الأشخاص الذين كنتَ معهم إلى وقت قريب، تأكلُ وتشرب معهم، وتلعب وتلهو بصحبتهم في الشوارع والطرقات، وتجلس معهم وتحادثهم وتمازحهم لا يرغبون بتقبّل تكليفك المفاجئ "بمهمة إلهية". وهذا الأمر يرد في القرآن الكريم إذ يذكر الله تعالى فيه اعتراضات من أهل مكة تجاه النبي ﷺ.

ولكن مع مرور الوقت أدرك الناس الذين وقفوا على أدق تفاصيل حياته، وعايشوه وعرفوه عن قرب، أن سيدنا محمد ﷺ قد تلقَّى "تربية ربانية"، وفي نهاية المطاف لم يعتريهم أدنى شعور بالتردد في مسألة الرسالة الإلهية. لذلك لم يكن هناك أدنى فرق بين المعلومات المتعلقة بالحياة الأسرية للنبي ﷺ، والمعلومات التي بلَّغَها والمتعلقة بعامة الناس.

وهنا نتساءل:

كيف تكون الحياة الأسرية لـ "أهل الله"، أو لـ"المرشد الكامل"؟ هل هناك فرق بين الموازين التي يصرِّحون بها لدى تعليمهم الناس، وتلك التي يتبعونها في حياتهم الخاصة مع أهل بيتهم؟

ونضرب المثل هنا بالشيخ سامي أفندي...

ولربما يمكننا معرفة هذا الأمر بشكل أفضل من شخص قد عاش طفولته في كنفه وقريباً منه، وكان ينظر

في الواقع إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن كل واحدة من هذه الخصائص والميزات التي جمعت مع بعضها تحتاج لكي تتحول إلى خط أو علامة شخصية إلى جهد عمر كامل، وأمعنا النظر في تجمعها كلها في شخصية الشيخ سامي أفندي، عندها يمكننا تخيل كيفية تشكل وظهور شخصية مثل هذه الشخصية ومدى الجهد المبذول في تكوينها.

إليه ببراءة الطفولة وبملاحظة بعيدة عن الحسابات والغايات؛ أي من أحد أحفاده.

لهذا فإن عبارات محمود كيراز أوغلو أفندي التي يبدؤها بقول "حبيبي وسيدي جدي.." تقدم لنا معلومات قيمة حول العالَم الخاص للشيخ سامي أفندي. ويعبر من خلال الجملة الآتية عن السمة الأساسية لشخصية سامي أفندي والتي انعكست بشكل كامل على حياته الأسرية أيضاً:

"أشهد بأن حبيبي وجدي، ذلك الشخص الفريد، كان في كل لحظاته بوعي تام بأنه بين يدي الله تعالى ويعيش في حضرته. وكان حاله في المنزل كحاله خارجه تماماً."

ثم بعد ذلك يشير إلى خطوط تلك "الشخصية" التي كانت منعكسة على ميادين حياته المختلفة، حيث يقول:

"لقد كان متمتعاً بصفات الأنبياء مثل التواضع الرفيع، ونكران الذات، والهيبة المعنوية، والأمانة، والمرحمة، والجسارة والصلابة، وعدم التشهير بخطأ الآخر، والمروءة، والكرم، والإخلاص، والتعبد، والزهد، والتقوى، والرأفة بالمخلوقات والإشفاق عليها، والمحبة، والسماحة، والعزيمة على العبادة، وعشق الخدمة، والأخلاق السامية، والأدب الرفيع، والصفاء، والصدق، والرتابة، وحسن الأسلوب، والتمتع بالموقف، وحسن التصرف، والتقدير، والكمال، والابتعاد عن التحقير، والحب، والتسليم، ومحبة الله، والبعد عن الغيظ والكدر، وعدم الإساءة والتجريح، وعدم الانكسار، وحسن المعاملة، والروحانية، واستخدام التعبير اللطيف المحبب، وأخيراً رعاية الحقوق والعدالة."

ثم بعد ذلك وصف محمود كيراز أوغلو التصرفات والأعمال الواقعية والملموسة لجده العزيز... وأود هنا أن أشارككم القسم المتعلق "بحياته الأسرية" من حديثه القيم هذا:

لقد كان يأكل وجبتَين خفيفتَين جداً، ويفضل أن تكون الوجبة حساءً. وأحياناً لم يكن يأكل الطعام الذي يأتي من أي مكان، ولكنه لم يكن يقول شيئاً، ولم نكن نأكل نحن أيضاً.

وكان يمتنع عن تناول الأجزاء المتعفنة من الفاكهة، والسبب في ذلك احتمال تحوُّلها إلى نوع من الكحول. وعندما تُجهَّز مائدة الفطور كان ينادينا بقرع الكأس بالملعقة، ويستقبلنا بوجه نوراني تعلوه ابتسامة لا يكاد الإنسان يشبع من النظر إليه.

ثيابه كانت في غاية النظافة والبساطة والرتابة. وكان يساعد جدتي رحمها الله في أعمال المنزل. إذ كان يموِّن الخضار مثل الفول، والباميا، والفاصولياء بعناية فائقة..

وكان يعلق الستائر التي تم غسلها في مكانها. وكان فناناً في دق المسامير، وتقليم الأظافر، وبراية الأقلام.

لقد تعلمت من جدي الحبيب براية الأقلام التي لزمتني طيلة حياتي في مهنتي.

لقد كان كاملاً في كل شيءٍ، لأن رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام يقول في الحديث الشريف: "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه".

لم يكن يذهب إلى الحلاق، وإنما كان يحلق له أهل بيته بالقياس رقم ٣. ويحلقون شعره كلما طال. ولكن خلال السفرات الطويلة كانت هذه المهمة توكل لأحد أولاده المعنويين مثل الأخ مصطفى بويوك بايرام. وعندما كنا نود تقبيل يده قبل التوجه إلى الاستراحة والنوم كان يقول: قبلوا يد جدتكم أولاً. وفي كل مرة كان يطلب منا تقبيل يد جدتي قبله على الرغم من توجهنا إلى يده أولاً. لم يكن يخرج من غرف المنزل حتى إلى البهو دون أن يخبر جدتي. وكانت جدتي أيضاً لا تأتِ إلينا قبل تقبيل يد جدي وأخذ إذنه مع أن ما يفصل بين بيتَينا في المدينة المنورة باب واحد.

في شهر نيسان من عام ١٩٧٧ كنا نعتمر، فأُقيمَت صلاة المغرب في الحرم، وكنا جالسين بعد التسبيحات، ولا أعلم هل سيذهب جدي إلى الفندق أم أنه سوف ينتظر حتى وقت صلاة العشاء؟ فبينما أنا جالس بجانبه، مال إلي وهمس بأذني أن أذهب إلى قسم النساء لأسأل جدتي فيما إذا كانت ستنصرف إلى الفندق أم تبقى هنا. لقد كان يستشير أهل بيته بشأن بقائه أو عدم بقائه ثم يتخذ القرار، إنه درس مهم لأهل العرفان حول حقوق الأسرة. لم يره أحد- حتى نحن- ينام مستلقياً تماماً، وإنما كان يضطجع دائماً على طرفه الأيمن، ويضع يده تحت رأسه، ويرقد متكوراً على نفسه. كان يتجنب كل ما من شأنه أن يدل على السخرية من أحد بالكلام أو الإشارة، ولم يكن يستعمل أبداً الكلمات التي تشير إلى الإعاقات العضوية أو العقلية. كان يستخدم أسلوباً ليناً وراقياً مع أنه كان ينبه الناس ويعظهم، وإذا عجز أحد عن الفهم أو أخطأ التطبيق فلا يشير إلى الخطأ مباشرة. إذ لم يسمع منه أحد عبارة مثل: "ألم أقل لك؟". [انتهى كلام محمود كيراز أوغلو].

> لقد كان أسلوب حديثه في غاية اللطافة، وخطابه رقيقاً ولينا. لم أسمع يوماً يصدر من فمه كلام جارح أو مسيء أو حتى تعنيف. كانت حياته تسير وفق الشرع الإلهي والسنة النبوية المطهرة. وكان يبتعد عن المبالغة في أحاديثه، فلا يستخدم كلمات وعبارات كثيرة، ولا يسرع في الحديث، ولا يستعمل ألفاظاً صعبة ومعقدة.

هنا ينبغي لنا التوقف برهة والتفكر في طبيعة الشخصية التي أمامنا والتي التقت فيها كل هذه الخصال الحميدة مثل:

- العيش مع الإحساس الدائم بالوقوف في حضرة الله تعالى.
- الحرص الشديد على مراعاة حق العبد ضمن الأسرة.
- حماية كرامة شريكة الحياة ورفيقة الدرب.
- تربية أهل البيت كباراً وصغاراً على مبدأ أن الأولى بالتبجيل والاحترام هي ربة المنزل.
- الرفق بالمعاملة.
- الابتعاد عن التوبيخ والانتقاص.
- عدم البحث عن العيوب.

ثم بعد كل هذا إيصال احترام سيدة المنزل لزوجها والذي يحملها على تقبيل يده حتى في أبسط فراق بينهما إلى حالة من الأدب الحياتي الطوعي.

لقد اجتمعت هذه الخصال الحميدة كلها في إنسان واحد في عالم يحتوي على أناس لهم آلاف بل عشرات

آلاف من المعجبين، ويلقون تكريماً واحتراماً كبيراً لدى دخولهم إلى أي مكان إذا ما استغلوها لأهوائهم النفسية فسوف يبلغ بهم الغرور مدى بعيداً، وعلى أناس قد أصابهم كبر وعجب عظيم لإحساسهم بالتمتع بصفات أقل من هذه بكثير، بينما ترون هذا الإنسان الذي نتحدث عنه يقوم تارة بتموين الخضار مثل البامياء والفاصولياء، وتارة أخرى يتولى أعمال تنظيف المنزل.

إنه يشترك بأعمال التنظيف في المنزل، ويضع اللقمة في فم شريكة حياته، واضعاً نصب عينيه مرشده وقائده ومَثَله الأعلى رسول الله ﷺ.

إنكم تستطيعون اقتباس جوانب شخصيتكم وخطوطها من هنا، فهذه الخصائص الجميلة يمكن أن تتجسد بذاتها في حياتكم.

وثمة أمر مهم قد نكون غافلين عنه، إلا أنه حق وواقع، وهو أن الوسط الذي ربما أكثر ما يغيب فيه حق العباد عن الملاحظة والمراقبة، وقد يتعرض فيه للانتهاك هو الحياة الأسرية...

إن التحرك هناك ضمن حالة "الإحساس بحضور الله" بقدر حرص سامي أفندي واهتمامه، والالتزام بالرفق مع رفيقة درب الحياة، وتجسيد الرقة واللطافة في كل آن بالنظر، والكلام، والسلوك... كل ذلك يمثل الإطار العام للحياة الأسرية بالنسبة لكل إنسان مسلم.

لقد مُنح محمود سامي أفندي لقب "المَلَاك سامي أفندي"، وربما كان العالَم الذي برزت فيه هذه الصفة، وتجسدت فيه، هو العالَم الذي تم تكوينه داخل أسرة سامي أفندي...

هناك الكثير من الناس تراهم يتمتعون بالأنس واللطافة في علاقاتهم مع الآخرين خارج المنزل، ولكن تجدهم عابسين ومتجهمين في البيت مع أزواجهم وأولادهم، وقساة في المعاملة مع العاملين تحت إمرتهم في أماكن العمل. فالكثير من الناس الذين يؤتَون قدراً من القوة والسلطة تحوِّلهم هذه السلطة إلى أشرار وأبالسة في الميادين الأسرية والحياة الزوجية.

وهنا يمكن القول بأن المرأة التي يمكن أن تعثر في علاقاتها الأسرية الأكثر خصوصية على الإحساس بالرفق، واللين، والشفقة، والحنان، وبمراعاة حق العبد هي- إن جاز لنا التعبير- امرأة الرجل المتحلي بالتربية النبوية.

ويُعد الشيخ سامي أفندي واحداً من أهل الله الذين نقلوا لنا هذه الأوصاف والشمائل النبوية إلى زماننا هذا. وسيكون البنيان الأسري الذي يُستوحَى من حياته الأسرية بنيانَ الأسرة المحفوفة بنفحات روح النبي عليه الصلاة والسلام. فما أسعد أفراد تلك الأسرة الذين أنعشوا قلوبهم بتلك النفحات النبوية الندية...

لا تبعدني عنك

ربي!
لا يسعني الكلام
حسبي الصمت وحده
لا تبعدني عن الورود
لا تبعدني عن الطريق
لا تبعدني عنك
في غيابك
أكون أسيراً

ربي!
لا أطلب الأمل
أكتفي باليأس
لا تبعدني عن الورود
لا تبعدني عن الطريق
لا تبعدني عنك
في غيابك
يكون دماري

د. عمر جليك

أقول بكل أسف وحزن وأسى: إن مشاهد الظلم والاضطهاد المفزعة تتوالى دون توقف في أيامنا هذه، ودماء المسلمين تسيل وتتدفق كالأنهار.

فالحرب الأهلية الدائرة في سوريا منذ ما يقارب الخمسة أعوام والمستمرة إلى يومنا هذا قد حصدت أرواح مئات الآلاف من الناس، وتسببت بتشريد مئات الآلاف لا بل الملايين من بيوتهم ووطنهم، فأضحوا بلا مأوى ولا مسكن ولا وطن. لقد قتلت الحربُ النساء والأطفال والشيوخ بدم بارد ودون أدنى شعور بالرحمة والرأفة، وأزهقت أرواح الآلاف من الأبرياء بالأسلحة الكيميائية.

وأما الأحداث التي جرت في مصر فتلك قصة ظلم أخرى. فقد وجهت فوهات البنادق نحو أناس خرجوا في مظاهرات سلمية للمطالبة بأبسط حقوقهم المشروعة والدفاع عنها، معبرين باستمرار عن عدم رغبتهم بالمواجهة والقتال، وأنهم لن يلجؤوا إلى القتل حتى وإن قُتلوا وأُطلقت عليهم النيران والرصاصات الحية أمام أنظار العالم، فقُتل وجُرح الآلاف من الناس بكل وحشية ودون أية رحمة.

وجرت وتجري أحداث وفظائع مشابهة في العراق، وفلسطين، وأفغانستان، وتركستان الشرقية، وميانمار وغيرها...

والمثير للعجب أن الغرب الذي يبذل كل طاقته وجهده في سبيل الحفاظ على بقاء أنواع من الكائنات الحية المعرضة للانقراض من أسماك، أو طيور، أو ثدييات، ويسارع إلى إسعاف أي حيوان جريح وعلاجه، يلتزم الصمت المطبق كالميت تحت التراب تجاه كل هذه الفظائع في العالم، ولا يبدي أدنى إشارة إلى الإنسانية والشفقة والرحمة. مما يعني أن الآلاف من المسلمين- وفقاً لمفاهيمهم- ليس لهم قيمة حتى بمقدار حيوان من الحيوانات. وأما الجانب الأكثر إيلاماً ومرارة في الأمر إنما هو تركز القوة والهيمنة على العالم بيدِ مثل هؤلاء

الكافرين الذين تجردوا من الرحمة، واستشرسوا واستوحشوا كمثل أشد الحيوانات الوحشية. وها نحن نحاول ونعمل على أداء امتحان العبودية كأناس منتمين لمثل هكذا عالم.

والحق أن الظلم مع الجهالة ميزة ملازمة للفطرة الإنسانية البدائية، إذ بيَّنَ الله تعالى أن خيانة الإنسان لأمانة العبودية التي أبت السماوات والأرض والجبال أن يحملنها لما عرضها عليها خشية عدم تمكنها من أدائها، سببها كون الإنسان "ظلوم" و"جهول". وإن سبب إرسال الرسل والكتب إلى الإنسان هو هذا الأمر. إذ إن هذه التعاليم الواردة من عند الله تعالى سوف تعالج مرض الجهالة لدى الإنسان، والعمل بمقتضيات تلك التعاليم التي هي الأعمال الصالحة سوف يشفيه من مرض "الظلم والعدوان". إلا أن جموع الناس الذين ينشؤون محرومين من مثل هذه التربية والتعليم الديني سوف يبقون مصدراً ومنبعاً لمختلف الشرور والآثام لعدم قدرتهم على معالجة أمراض الجهل والظلم، وبالتالي سوف يصدر أشد أصناف الظلم والعدوان من هؤلاء، لأن الله تعالى قد أخبر بأن الكافرين هم شر الدواب على وجه الأرض.

(انظر: سورة الأنفال، الآية: ٥٥)

لقد تجسدت هذه الميزة من العدوان، والظلم، والطغيان، وإراقة الدماء لدى الإنسان بصور وأشكال مختلفة عبر التاريخ البشري. وفي الحقيقة عندما ننظر إلى القصص والأمثلة الواردة في القرآن الكريم فإننا نرى مشاهد تصدم الإنسان وتصيبه بالدهشة والحيرة، ومن ذلك:

- أصحاب الأخدود الذين أُحرقوا بوحشية داخل خنادق مملوءة بألسنة اللهب. لقد كان الآلاف يُحرقون بالنار لمجرد إيمانهم بالله الواحد الأحد، وكان القائمون بالحرق يجلسون حول تلك الخنادق ويشاهدون بمتعة وحشية احتراق أجسام المؤمنين...

- وفرعون الذي سامَ بني إسرائيل سوء العذاب، لقد كان يبيدهم ليقضي على أجيالهم ويمحو أثرهم، فكان يقتل كل المواليد الذكور لبني إسرائيل متذرعاً "بأنه قد يكون أحدهم الفتى الذي سوف يهدم سلطانه" بناءً على الرؤيا المشؤومة التي رآها في منامه. ويُروَى أنه قد قتل بهذه الطريقة عشرات الآلاف من الأطفال...

- وسحرة فرعون الذين لم يبالوا بتهديداته التي أطلقها بحقهم "لأصلبنكم، وأقطعنكم" فقد قُطِّعَت أيديهم وأرجلهم من خلاف، وصُلِبوا على أشجار النخيل. وذنبهم الوحيد أنهم آمنوا بالله الواحد. وكان هؤلاء يتضرعون إلى ربهم في الأنفاس الأخيرة ليفارقوا الحياة وهم مسلمون، وذلك بقولهم كما ورد في سورة الأعراف الآية ١٢٦:

﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾

- وحبيب النجار الذي ضُرب ورُجم حتى قُتِلَ شهيداً لأنه اتبع الرسل الذين جاؤوا لتبليغ الحق، ودعا قومه إلى الإيمان بأولئك الرسل والأنبياء، إلا أنه عند لفظ أنفاسه الأخيرة كان يقول بكل سعة صدر وطمأنينة وإحساس بالرأفة والرحمة:

﴿يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ. بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ (يس: ٢٦-٢٧)

وما أكثر مشاهد الظلم الأخرى للأقوام السابقة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم لتكون عبرة لنا...

إذاً إن مشاهد الظلم الرهيبة ليست حالة خاصة فقط بعصرنا الحالي. ولا شك أن هذا الأمر لا يقتضي النظر إلى الظلم على أنه شيءٌ طبيعي، فالظلم يبقى ظلماً وعقابه شديد. غير أن الأمثلة المذكورة في الأعلى تنير السبيل أمامنا للقيام بتحليلات عميقة تجاه أعمال الظلم وذلك بتروٍّ وبعقل سليم، لنعلم بأن هذا ما هو إلا امتحان ونعرف كيفية مواجهته، وكذلك فإنها تمنح المؤمن قوة وصلابة. وهكذا فإن هذه

الأمثلة قد صارت مصدراً لثبات النبي ﷺ الذي ضاق صدره أمام مختلف أصناف الظلم والاضطهاد التي تعرض لها. وعلينا أن لا ننسى أيضاً أنه إن كان للظالم قوته وظلمه، فإن للمظلوم الله تعالى.

إذ إن الله ﷻ حتماً سوف يعين المظلوم عاجلاً أم آجلاً. وسُحُب الظلمات سوف تنقشع وتنجلي، وتشرق شمس السعادة في أجواء السلام وطمأنينة الإسلام. إذ ليس بين دعاء المظلوم وبين الله تعالى حجاب، فدعاء المظلوم سوف يستجاب حتماً.

إن المظلوم عندما يكون قوياً، من حقه أن يستعيد كامل حقه من الظالمين في إطار القوانين والتشريعات. فله أن يقتص من الظالم بالوسائل المشروعة، وأن يُمكَّن من ذلك، فهذا من حقه الطبيعي الذي لا مرية فيه. إلا أن للصبر والعفو عند المقدرة دور ومكانة متميزة من ناحية سيادة الصلح والسلام على العالم. والأمثلة على ذلك كثيرة: ففي غزوة أحد بعد أن غادر المشركون ساحة المعركة وانصرفوا، توجه رسول الله ﷺ إلى القتلى. فصادف منظراً مثيراً للاستهجان، إذ رأى عمه حمزة رضي الله عنه الذي أحبه كثيراً ملقى على الأرض شهيداً، وقد مُثِّلَ بجسده الطاهر، ممزق الأحشاء، ومقطوع الأنف والذراعين. فلما رآه على تلك الحالة قال: "لولا أن تحزن النساء، ويكون سُنَّةً من بعدي لتركته، حتى يكون في بطون السباع وحواصل الطير حتى يبعثه الله يوم القيامة، ولئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأمثِّلن بسبعين رجلاً منهم."

وطلب رسول الله ﷺ ثوباً يكفنه به، فأتي بنمِرة [كساء]، فكان إذا تُركت على رأسه بدت رجلاه، وإذا غطي بها رجلاه بدا رأسه، فجعلت على رأسه، وجعل رسول الله ﷺ على رجليه شيئاً من الإذخر. ثم جُعل في الأمام وكُبِّرَ عليه عشر تكبيرات. ثم أتي بالشهداء يوضعون إلى جانب حمزة، فصُلِّيَ عليهم وعليه معهم حتى صُلِّيَ عليه سبعون صلاة. حيث أن عدد الشهداء في أحد كان سبعون شهيداً. وبعد أن انتهى المسلمون من دفن الشهداء، نزل قول الله تعالى:

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ. وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (النحل: ١٢٦-١٢٧). فصبرَ رسولُ الله ﷺ ولم يمثِّل بأحد.

يقول الله تبارك وتعالى:

﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (الشورى: ٤٠)

إذاً؛ إن مقابلة السيئة بمثلها عدالة، وأما الصبر على السيئة والعفو ففضيلةٌ عظيمة. إن هذه الآيات تحث المؤمنين من خلال شخص النبي ﷺ على الالتزام الدائم في تحركاتهم بالاعتدال والفضائل، والتحلي بالصبر، والتصرف بالحسنى.

ومن أورع نماذج العفو والتسامح نموذج العفو الذي قدمه رسول الله ﷺ يوم فتح مكة مع ألد أعدائه من المشركين.

وفي الختام نقول: كلنا أمل ورجاء أن نتخلص من الظلم الذي نرزح تحته لنستعيد قوتنا وسيادتنا، وأن ندافع عن حقوق المظلومين في شتى أنحاء الأرض كما ندافع عن حقوقنا، وأن نقدم نماذج من العفو والمسامحة عند المقدرة لنستميل قلوب الناس- حتى الظالمين منهم- إلى الإسلام لينعم الناس بأيام جميلة ملؤها السعادة والرفاهية والسرور...

مَن قَلَّ أدبه حُرِم من ألطاف ربِّه

رابعة برودبيـــــــــــك

يعِظنا مولانا جلال الدين الرومي عِظَةً رائعةً تُجنِّبنا ما نعيشه اليوم إذ يقول: "لنرجو من الله أن يوفِّقنا إلى الأدب، فمن لا أدب له محروم من لطف ربِّه؛ ومن لا أدب له، لا يسيء إلى نفسه فقط بل ربما يحرق العالم برمَّته. إن كل ما يصدر عنه وكل ما يدخل قلبه من القسوة والغم ينبع من جرأته ووقاحته. لقد عمَّ النور هذا العالم بالأدب، وأصبحت الملائكة بريئة وطاهرة به أيضاً."

إننا نعيش اليوم تناقضاً كبيراً، فرغم أن عصرنا الحالي عصر الاتصالات، إلا أن علاقاتنا تقطعت وساءَ التواصل فيما بيننا، وهكذا اغترب بعضنا عن بعض، وأصبح أحدنا يسئ فهم الآخر ونتحدث لغات مختلفة، أضحينا نتجادل ونهدد ونهاجم، نتناحر ونتحارب ونتصادم ونتمايز. لقد أصبحنا أعداء، انقطعت أواصر السلام بيننا وأصبحنا نرفض محبة بعضنا، إذ لا نتساعد ولا نخدم ولا نلهم بعضنا، لقد فقدنا صفاتنا الإنسانية ونزعنا من أفئدتنا أحاسيسنا الإنسانية، وغابت مشاعر الصداقة والرفقة. وباختصار... لقد فقدنا إنسانيتنا! فقدنا صفة "الأدب" التي قال عنها جلال الدين الرومي إنها أثمن صفة يمكن أن يتمتع بها الإنسان، ولهذا نكون قد أحرقنا العالم.

يقول اليوم أعضاء الجماعات (الدينية):

"... مرشدي، جماعتي، مجلتي التي أصدرها، وقفي، دار الأيتام أو دار المسنين التي أنشأتها...".

أي إن شعور الأنا بات طاغياً حتى عندما نقول "نحن"، في حين أن الإسلام دينُ الجماعة، وأعظم فنوننا فنُّ المحبة في الله والعيش لأجل الله، وإذا لم نتعلم ذلك فهذا يعني أننا لن نتمكن من كسب أي شيء.

إن الأمور تسير في الاتجاه المعاكس لأننا بتنا نسعى وراء المنفعة، هل سنكون قادرين على استيعاب معنى المحبة لنبينا محمد عليه الصلاة والسلام أو لعلي أو لأبي بكر أو خديجة أو نسيبة أو حمزة أو بلال رضوان الله عليهم جميعاً بعد أن خنقتنا علاقات المنفعة؟ وجود الصداقة أمر غير ممكن إذا لم نكنَّ لبعضنا التقدير ولم نلهم بعضنا بعضاً، ولم نكن كالجسد الواحد، ولم نقدم لبعضنا نماذج تُحتذى، ولم نخدم بعضنا ولم نحب بعضنا أكثر من محبتنا لأنفسنا. اليوم تقام العديد من المحاضرات والندوات وبرامج التلفاز حول موضوع الصداقة، لكن كيف لنا أن نلتحق بركب عشق الأولياء الصالحين إذا كنا بعيدين عن بعضنا بهذه الدرجة المخيفة وكنا عاجزين عن التفاهم والتحابب والتحدث معاً عن جمال خالقنا جل جلاله وعن معرفته وثمار إدراكه؟

لقد أصبنا بفيروس الأنانية! كيف حصل هذا؟ خدَّرتنا الدنيا في حين أن دين الإسلام يدعو إلى التحلي بخلق رائع يحارب فيروس الأنانية؛ إنه الإحسان لإخوتنا حتى وإن كنا نحن في أمس الحاجة، وتفضيلهم على أنفسنا وتقديم آلامهم على آلامنا. يقول أبو بكر الصديق رضي الله عنه والذي كان في قمة التضحية والفداء: "الكرم الحقيقي أن يعاني المرء من أجل تخفيف معاناة الآخرين". وقد تجلَّت قمة التضحية بالنفس لدى أهل البيت والصحابة الكرام، حينما كان أحدهم يقول بصدق: "بأبي أنت وأمي يا رسول الله!".

ويقول الله تعالى في كتابه العزيز:

﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ (الأحزاب ٦)

ولن يبلغ إيماننا الكمال إذا لم نحب نبينا عليه الصلاة والسلام أكثر من محبتنا لأنفسنا. لقد وهبنا أنفسنا كلياً للدنيا. كيف ذلك؟ لم نعد نجاهد أنفسنا والله تعالى لا يرحم من لا يسعى لبذل الجهد، نعتقد أن كل شيء مجاني، وهكذا أصبحنا لا نصوم في صيامنا، ولا نزكي عندما نعطي الزكاة، ولا نحج عندما نذهب إلى الحج، ولا نصلي في صلاتنا . ولكم هو مؤسف أننا لم نعد بشراً وأفقَدْنا العالم سكينته في حين أن الإسلام يعلِّمنا الجمال والانفتاح على العالم واحتضان الجميع ومحبتهم دون حدود.الإسلام دين محبة لا يفرق بين أحد على أساس قوميته أو عرقه أو مجتمعه أو مكانته أو بلده. ويا للأسف! لقد فشلنا في الجهاد في سبيل الله رغم أن الجهاد دَين في رقابنا لأننا خلائف النبي عليه الصلاة والسلام المرسل رحمة للعالمين، ونحن مدينون بأن نناضل ونجاهد على دربه عليه الصلاة والسلام. لقد فشلنا في أن نكون أمته، في حين أن المؤمنين بدين التوحيد يجب أن يكونوا أسرة واحدة ومجتمعاً واحداً وجسداً واحداً. جميعنا أحفاد آدم عليه السلام وأبناء هابيل، رمزَي التوحيد. إننا نحمل على عاتقنا مسؤولية العبودية، فنحن المخلوقات التي سجدت لها الملائكة، ونحن أحفاد إبراهيم عليه السلام الذي وضع دعائم دار التوحيد وبناء الكون. مع الأسف لم ندرك معنى شهادة الحسين وحمزة عليهما السلام ولِمَ سالت دماؤهما المباركة، ولم ندرك رفعة تضحيتهم بأنفسهم بشجاعة، وبدلاً عن إدراك ذلك أصبحنا بغفلة حيوانية ننفذ هجمات انتحارية، ونفجر أنفسنا وسط الأسواق المزدحمة متسببين بمقتل المدنيين الأبرياء ومعتقدين أننا سندخل الجنة بذلك دون حساب، ما هي المسؤولية التي نتوانى عن أدائها ليكون ذلك سبباً في أن تسقط هذه القنابل على العالم الإسلامي؟

العالم الإسلامي في أزمة... لم نعد نقتدي بنبينا عليه الصلاة والسلام الذي طلب لأمته القرب إلى الله والهداية والرحمة والمغفرة! إننا نعاني المشاكل في حين أننا أتباع دين هو رحمة للعالمين. لقد أرسل الله تعالى حبيبه محمد عليه الصلاة والسلام لغاية واحدة، وهي أن يكون رحمة للعالمين! غير أن المسلمين تركوا الاقتداء

بأخلاق محمد المصطفى عليه الصلاة والسلام وكفوا عن السعي إلى السير على دربه. وبات زماننا زمان الابتعاد عن الجوهر وزمان الزيف، زمان الإساءة والظلم والاستغلال والاعتداء والظلم والإرهاب والفساد. وهكذا فقدنا كنز القرب إلى رب العالمين ونبيه المرسل رحمة للعالمين. وهذا الفقد يعني بقاء معادن هذه المحبة المتأصلة في حياتنا طي النسيان إلى الأبد وعدم بلوغنا الإنسانية.

إننا نلحظ أن أبناء هذا العصر مقارنة بالأجيال السابقة قد سقطوا في مستنقع أكبر من الجهل، وابتعدوا أكثر عن الفيض المعنوي لبركة الله تعالى وحبيبه الرسول المصطفى عليه الصلاة والسلام وباتوا محرومين منه. وهذا ما حذَّرَنا منه ومنذ أمد بعيد رسولُ الله عليه الصلاة والسلام المرسل رحمة للعالمين بقوله: "لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب خرب لدخلتموه".

نعيش اليوم حالة من الابتعاد والقطيعة بيننا إلى درجة مريعة وكأننا نعيش هذه الآية القرآنية:

﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ (عبس ٣٤-٣٦)

علينا أن نسأل أنفسنا: ألا نعيش القيامة الآن؟ فالإنسانية تضمحل أكثر فأكثر، وقد انتشر الموت والدمار في كل مكان، وتفشت أكبر المصائب التي يمكن أن تواجهها الإنسانية، وأضحينا نعيش إفلاساً أخلاقياً وسياسياً واقتصادياً. لقد أصبحنا نرى قيماً منعكسة في جميع الأبعاد. الصراعات المذهبية تمزق جميع أواصر الأخوة وتقطع أوصال الروابط المعنوية بين الأشقاء، وبات العالم الإسلامي يعاني الانقسام والازدواجية وأصيب بفيروس التفرقة، الناس يبيدون بعضهم بعضاً.

وإحدى أكبر النقائص التي يعاني منها عالمنا الإسلامي اليوم أننا لم نعد نعيش هذه الحقيقة التي يشير إليها الحديث الشريف:

"المؤمن مرآة المومن".

ولن ينبع النور الإلهي من القلب إلى القلب إلا عندما يكون بعضنا مرآة بعض.. الدين الإسلامي يعني حباً بلا أي مقابل يتدفق بأرفع حالته بين قلبين.

لقد مُنحت أمة محمد عليه الصلاة والسلام أكبر سعادة في أن تعيش ما جاء في الحديث الشريف بأسمى حالاته.

يقول عبد القادر الجيلاني:

"إن القصد من المؤمن الأول والمرآة الوارد ذكرهما في الحديث الشريف قلب المؤمن الصافي، والمؤمن الثاني الذي يرى انعكاسه في هذا القلب هو ذات الله سبحانه وتعالى".

فالنور الإلهي لذات الله قد اتحد مع نور النفس الطاهرة، واتحاد النورين يعني نور على نور، ومن خلال المرآة الإلهية في القلب يصبح الإنسان قادراً على معرفة نفسه.

ومن خلال مرآة وجوده يشاهد ربه ونفسه وسائر المخلوقات لكن بشرط واحد:

أن تكون مرآة القلب نظيفة فحينها فقط يبدأ تجلي الصفات الإلهية (وبريقها) في مرآة قلبه النظيفة، وحينها سيبدأ لمعان مرآة الإخلاص يعكس سرمدية الأسرار الإلهية. قال الله تعالى في سورة النجم:

﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾.

إن قمة تجربة السعادة والنجاح المعنوي المطلق يكمنان في مصادقة صفوة الصحابة الذين بايعوا نبينا عليه الصلاة والسلام.

وصداقة رفيعة من هذا النوع تعني الصيرورة معاً في حال توحيد مع الخالق في عالم الأرواح والترديد دوماً دونما وسيط "أجل أنت ربنا!".

ويقول جلال الدين الرومي:

"من تجاوز عن الصورة ونقّى سريرته، أصبح مرآة لصور الغيب لأن المؤمن مرآة المؤمن".

من أين يأتي هذا الفيض الإلهي؟ من الوحدة والاتحاد والمحبة. من أين يسعنا طلب المتعة والسرور والسعادة الحقة؟ من بيت الله فهناك نعيش حقيقة "المؤمن أخو المؤمن" ونعكس لبعضنا بعضاً بريق مرآة الإخلاص وسرمدية الأسرار الإلهية.

وثمة نقصٌ آخر هام يعاني منه العالم الإسلامي، إنه الصداقة الإلهية والعجز عن عكس تجليات الله وكلامه، فحيث تكون الصداقة الإلهية يكون تقاسم الأسرار الإلهية المنعكسة من قلب إلى آخر. الصداقة الإلهية تعني مشاهدة جمال النور المنعكس من قلوب باتت شفافة ونقية.

إن قمة تجربة السعادة والنجاح المعنوي المطلق يكمنان في مصادقة صفوة الصحابة الذين بايعوا نبينا عليه الصلاة والسلام. وصداقة رفيعة من هذا النوع تعني الصيرورة معاً في حال توحيد مع الخالق في عالم الأرواح والترديد دوماً دونما وسيط "أجل أنت ربنا!". صداقة من هذا النوع تعني العيش معاً والموت معاً، وهذا ما يتطلب تشاطر آلام القلوب. الصديق الحقيقي من لا يتوانى عن المبيت في سرير الموت عوضاً عن صديقه، كما فعل علي بن أبي طالب رضي الله عنه عندما بات في فراش رسول الله رغم معرفته بأن المشركين قادمون لقتله عليه الصلاة والسلام.

الدين يعني التمكن من إقامة علاقة تجريبية حول الحياة، علاقة مفعمة بالمعنى النابع من القلب وإلى القلب، فتتنفس عبق الصداقة الحقة. الدين يعني المشاركة في لذة التعافي وفرح الاستفاضة من النور، وسعادة الأسرار الإلهية حين تتجلى في القلوب الصافية، وسرور خطاب ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾، وتقاسم متعة الوليمة الإلهية والأخوة بالرضاعة، وهي تعني أيضاً فكراً عميقاً ويقيناً يعتمد على المشاهدة وسعادة التوحيد.

من يستطيع تقاسم ذلك يندمج في نهر الأولياء ويعيش سر: ﴿لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ويختبر بسعادة تجربة "المؤمن مرآة المؤمن" و "ما وسعني لا سمائي ولا أرضي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن."

عند إمعاني النظر في الوضع الراهن لمجتمعاتنا المعاصرة أعتقد أنه يتعين على الناس التخلي عن حججهم وأفكارهم المنطقية ومناهجهم المعتمدة على العقل وحده، وتجاوز مخاوفهم السياسية والاجتماعية والظاهرية والقانونية والطرائق المحدودة بالمنطق، والاتجاه نحو تشارك التحذيرات الأبدية الإلهية التي حملها مرشدنا الأسمى نبينا محمد عليه الصلاة والسلام المتربع على عرش القلوب. لقد آن الأوان لتنحية النقاشات العقيمة اللامتناهية جانباً. إن تناول القضايا السياسية والدينية والاجتماعية بشكل رسمي وظاهري فقط يعني جعلها أكثر سطحية. ومحاولة التفكير والقيام بتحليلات منطقية حول الحقيقة أمورٌ لا تمكن إلا في غياب الإدراك والعشق الإلهيين والبعد الداخلي، ونتيجة لهذا التأويل الخاطئ للحقيقة ازدادت سطحية حياة الإنسان المرتكزة أساساً على الظاهر. وهذا الحال يضع نصب أعيننا المشكلة الأزلية التي تعاني منها الإنسانية.

نعيش اليوم حالة من الابتعاد والقطيعة بيننا إلى درجة مريعة وكأننا نعيش هذه الآية القرآنية:

﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ (عبس ٣٤-٣٦)

فعلينا أن نسأل أنفسنا: ألا نعيش القيامة الآن؟ فالإنسانية تضمحل أكثر فأكثر، والموت والدمار منتشر في كل مكان، وقد تفشت أكبر المصائب التي يمكن أن تواجهها الإنسانية، وبتنا نعيش إفلاساً أخلاقياً وسياسياً واقتصادياً.

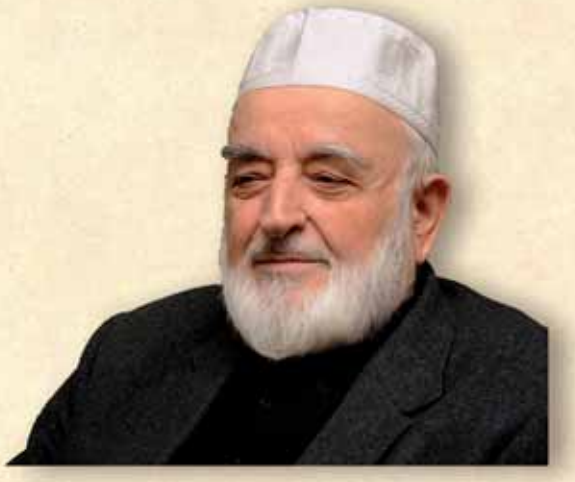

سلموا أولادكم

إلى الأستاذ محمود سامي

خلال السنوات التي كنا فيها طلاباً في اسطنبول كان يدرسنا في بعض الأحيان علي حيدر أفندي، وأحياناً أخرى يدرسنا الإمام الرئيس لجامع الفاتح عمر أفندي. كان عمر أفندي من أتباع التكية الكلامية Kelami Dergahi.

حتى أنني في عام ١٩٤٤ أو ٤٥ رأيت سامي أفندي في منزله. لقد كان سامي أفندي إنساناً نحيلاً، وقوراً، جميل المحيا، وذا لحية سوداء. وكان كما هي عادته يجلس على الأريكة جاثياً على ركبتيه. ورغم كون عمر أفندي إنساناً في غاية الشدة والصلابة، صاحب طبيعة شبيهة بعمر بن الخطاب رضي الله عنه إلا أنه كان في غاية التأدب واللطف مع سامي أفندي. مع أنه يكبره سناً، فسامي أفندي يعد شاباً بالنسبة إليه.

كنا نتلقى الدروس من أساتذة آخرين عدا علي حيدر أفندي وعمر أفندي، أمثال؛ مصطفى كوموجينلي أفندي، والمحدث إبراهيم أفندي.

استمرت هذه الدراسة مدة ثمان سنوات، حتى ذهابي إلى مصر بتشجيع من علي حيدر أفندي. وهو الإنسان الذي عرفني بمتعة كتاب الشفاء للقاضي عياض. ودرست على يديه شرح العقائد، وأصول الفقه، والمرآة. مجلسه عبارة عن درس؛ تنبع منه الفائدة والنفع في كل لحظة وآن. كان إنساناً استثنائياً بكل معنى الكلمة. (في هذه الأثناء يقوم أمين سراج وهو يقول: "أريد أن أريكم كيف كان علي حيدر أفندي إنساناً مجداً ومجتهداً" ثم يرينا الملاحظات باللغة العثمانية المكتوبة بخط في غاية الجمال بيد علي حيدر أفندي والتي أخذها إلى جانب كتاب الدرر).

كان عندما يقرأ الشفاء تنهمر الدموع من عينيه كالسيل. لقد كانت تمتزج الدراسة مع الدروس الروحية.

وعندما كان سامي أفندي يأتي لزيارته يوم الأربعاء كان يستقبله بفرحة عارمة. فتمتلئ الأجواء بالاحترام، والمحبة، فيتم تنظيم أماكن الجلوس، وتُعد على أكمل وجه. وقد قال لوالد زوجتي بل جعل الأمر وصية أيضاً؛ "بعد وفاتي سلموا أولادي لسامي أفندي"... وقد أم سامي أفندي صلاة جنازته أيضاً.

وهنا أريد التحدث قليلاً عن خصائص سامي أفندي أيضاً. لقد كان سامي أفندي يتمتع بتواضع قل نظيره. فخلال الحج وبعد أن أتممنا مناسكنا في عرفة توجهنا لزيارة الخيمة التي يتواجد فيها سامي أفندي، ولما وصلنا إلى الخيمة ودخلناها كان موسى أفندي في تلك الأثناء يوزع المشروبات على الضيوف الموجودين هناك. وعندما رآنا سامي أفندي نادى على مسكين وقال: "لقد سألوا عن مسألة متعلقة بالحج إلا أننا لم نتمكن من الإجابة عليها وحلها، ومن حسن حظنا أنكم جئتم إلينا، لقد أرسلكم الله" ثم سأل

عن المسألة. فكان لدي كتاب دليل الحج، ففتحناه واطلعنا على معلومات مفصلة بشأن المسألة. ثم بعد ذلك قال: "الحمد لله، لقد فرجتم عنا المشكلة" وشكرنا. فانظروا إلى هذا الإنسان الفاضل كيف أنه لا يخجل ولا يتردد في السؤال عن مسألة دينية ويطلب التوضيح بشأنها بين هذا الجمع الغفير من الناس. فليس من السهل اليوم أن يقدم كل إنسان على مثل هذا الأمر. إذ أن محيطنا مليءٌ بالذين يقولون: "أنا أعلم كل شيءٍ". إن هذا التصرف مؤشر آخر على مدى تمتعه بقلب متواضع، ومدى بعده عن التفاخر والرياء.

تبجيل من ينوي أداء العمرة

أريد أن أشارككم ذكرى أخرى متعلقة بسامي أفندي لأبين لكم مدى تواضعه. كان ذلك قبل رحلة العمرة، وكنت قد ذهبت لزيارته بقصد طلب الإذن من جهة، ومن جهة أخرى بغية نيل دعائه. فلما ذهبت إلى الدائرة الحكومية كان هو في الطابق الثاني من المبنى، فأوصلوا إليه الخبر بأن هذا العبد الفقير قد جاء يستأذن من أجل التوجه إلى العمرة. ولم تمض لحظات حتى أبصرته هو وموسى أفندي ينزلان على الدرج. فجريت في الحال نحوهما وانحنيت لتقبيل يده. ولأنه كان ذو بنية جسدية نحيلة ورقيقة حاولت قدر الإمكان الإمساك بيده بلطف لئلا أتسبب له بأذى. إلا أنه أمسك بيدي بقوة وحاول تقبيلها. إنه كان يحاول أن يظهر التبجيل والاحترام لهذا الفقير لكوني شخصاً متجهاً لأداء العمرة.

ذكريات الشيخ كمال الدين آلتن تاش أفندي

لقد كان سامي أفندي يجلس في كل اللقاءات والمجالس على ركبتيه. وحتى إذا جلس على الأريكة فإنه يجثو على ركبتيه. وكان نحيل الجسم ، ذو قوام رشيق مثل طائر إن جاز لنا التعبير. وكان يرتدي جبة طويلة على الدوام. ذات مرة ذهبت لزيارته أنا وفؤاد أفندي. ففتح سامي أفندي الباب، وتحاضن هو وفؤاد أفندي مطولاً، وبعد ذلك بينما كان يرحب بنا ويقول "أهلاً بكم"، قللت الحياء وضممته أنا أيضاً. لقد ضممته ولكن لم أعرف أيوجد داخل الجبة شخص أم لا. لست أبالغ، لقد كان ضعيفاً ونحيلاً لتلك الدرجة، حيث لم أكد أشعر بوجوده داخل الجبة. وكانت لحيته المباركة خفيفة وقليلة الشعر. وكلامه في غاية الأدب والروعة. وكان يميل في غالب الأحيان إلى الصمت. ذات مرة جاء رجل لزيارته من مكان بعيد، وأكثر أستاذنا من الصمت في تلك الزيارة، فقال ذلك الرجل: "لقد جئنا لزيارته من مكان بعيد، إلا أنه يفضل الصمت على الحديث معنا". ولما بلغ هذا الكلام فيما بعد لمسامع سامي أفندي، قال: "من لا يستطيع فهم صمتنا، فلا يمكن أن يفهم حديثنا أبداً".

لم نكن نشعر بمرور الوقت في مجلسه، ولا نفهم كيف يمر بسرعة مهما طالت مدة حديثه. وكانت اللقاءات والأحاديث في تلك الفترة طويلة أكثر مما هي عليه الآن حيث لا تستمر أكثر من ٤٥ – ٥٠ دقيقة. وكانت اللقاءات تبدأ حتماً بتلاوة شيءٍ من القرآن الكريم، حيث كان الأستاذ يُجلس قارئ القرآن الكريم في مكان مرتفع بجانبه. وفي حال عدم وجود مكان مرتفع يجلس عليه قارئ القرآن والأستاذ جالس على مكان عال مثل الأريكة، كان يترك مكانه ويجلس هو أيضاً على السجاد.

كان سامي أفندي شفوقاً للغاية بالحفاظ، وقراء القرآن الكريم. ويوليهم أهمية كبيرة. وكانت له ابتسامة جميلة وطيبة، وعندما يتلفظ في الذكر الجهري بلفظ الجلالة "الله، الله، الله"، يحسب الناظر إليه أن فمه يقطر عسلاً.

وقد كان يستقبل ضيوفه بابتسامة رائعة ترتسم على محياه. وعندما كنا نخرج من عنده لم نكن ندري هل نحن سائرون على الأرض أم محلقون في الجو. وكنا نبقى تحت تأثيره الجميل حتى زيارتنا التالية. كان رؤوفاً للغاية، ودقيقاً في مسألة المواعيد.

خُلق

البذل بالنفس

رابعة برودبيك

لا يختلف حب التسليم عن حب البذل والإنفاق

لقد كان من خلق النبي ﷺ محبة كل شيءٍ في هذه الدنيا، إذ كان يرى فيه إشعاعاً لمحبة إلهية. وقد بلغ النبي ﷺ الحقيقة النهائية للمحبة، وعبَّر عن هذه الحقيقة بقوله في الحديث الشريف:

"حُبِّبَ إليَّ من دنياكم ثلاث : الطيب ، والنساء ، وجعلت قرة عيني في الصلاة."

إن حبَّ هذه الأشياء الثلاثة أرفع أنواع الحب التي يمكن أن يتمناها أي إنسان في هذه الدنيا. وقد تفكر نبينا الكريم ﷺ في مخلوقات ربِّه من خلال هذه الأشياء الثلاثة بأعلى درجة من اللذة والمتعة. لقد كانت هذه الأشياء الثلاثة تجعله يشاهد الجمال الإلهي، إذ كان يشاهد التجليات الإلهية المخبَّأة والمستترة فيها.

ولا ريب أنه كان من خلال محبة هذه الأشياء يحب ربه سبحانه وتعالى وجماله. فالحبُّ يعني ترك الإرادة الجزئية، والتضحية بما لا يكون في سبيل الله؛ وهو الاصطباغ بالعبودية المطلقة لله تعالى. والحب هو اللذة الكامنة في التسليم والاستسلام، وفي الطاعة والعبادة والإيمان؛ وهو بيع النفس لله تعالى؛ وهو اشتعال القلب بنيران الشوق والتضرع والابتهال، واضطرامه بلهيب الحنين والحسرة، وتلهفه للبحث وشغفه به، وتحليه بأعلى مراتب الأمل والرجاء؛ وهو بلوغ درجة

عالية من الكرم والسخاء ببطولة وإقدام؛ وهو القدرة على التلذذ بصفاء الإيمان؛ وهو معرفة الإنسان لحدود نفسه، ونواقصه، وقصوره، وجوانب ضعفه، وعجزه، وخيباته ثم الإقرار بكل ذلك؛ وهو قدرة الشخص على فتح آفاق قلبه أمام نور الهداية الإلهية.

تقول رابعة العدوية التي تُعدُّ من كبار الزهاد والأولياء في الإسلام:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه
هذا لعمري في القياس شنيع
لو كان حبك صادقاً لأطعته
إن المحب لمن يحب مطيع

فينبغي أن يكون هاجسنا الدائم خلال إقدامنا على مختلف الأفعال موافقتَها لرغبة المحبوب. وينبغي أن تكون كل أفكارنا ومشاعرنا وحركاتنا وسكناتنا وأفعالنا هادفة إلى إثبات محبتنا له. إن محبة الله تعالى تستلزم التسليم له، والتواضع والتذلل أمامه، وطاعته، والوقوف بحياء وخجل بين يديه. وعندما نحب نتحول إلى عبد دائم التعلم، وطالب في غاية التواضع، وعاشق دامع العين، وباحث صادق ومخلص. إن نتيجة هذه المحبة التعطش للحقيقة، والتسليم والطاعة والاتباع. وهذه المحبة تنتهي بحب المبعوث رحمة للعالمين، وتنتهي بحب أهل بيت المصطفى ﷺ، وحب أصحابه الغرِّ الميامين. تنتهي هذه المحبة ببلوغ مرحلة الإحساس بشرف العبودية، وبزوال الحجب عن الجمال الجذاب الكامن في العبودية، وبإحساسنا بالمحبة لسائر المحبِّين.

لقد بيَّن الدين الإسلامي مبدأَ كشف خزائن المحبة، فالإسلام قد بدأ مع بداية الإسلام الأول الذي كان بخَلق سيدنا آدم عليه السلام. ولمَّا وُلِدَ سيد الخلق محمد ﷺ، فتح باباً نحو أنوار الحقيقة وخزائن المحبة أمام الطالبين والسالكين. ويمكن الدخول من هذا الباب من خلال العمل على فهم سيدنا محمد ﷺ وسنته المطهرة، وتطبيقها في شتى ميادين الحياة. إن الاتباع الحقيقي يعني أن تسيطر على الشخص رغبةُ الانقياد، وشوق التعلم، وإرادة الخضوع للعلم والعرفان. فالاتباع- باختصار- تعبيرٌ عن محبة الله تعالى وعبادته، والشعور بالامتنان تجاهه.

لو أننا اتبعنا أشرف بني البشر سيدنا محمد ﷺ بصدق وإخلاص، فإننا عندها نصبح ورثة لأعظم كنوزه؛ ذلك الكنز إنما هو الأخلاق المحمدية التي تُعد أعظم شرف أهداه الله تعالى لعبد من عباده. لقد ظهر كنز الإسلام المخبوء وجوهره الروحي والمعنوي وعلمه في الأخلاق المحمدية؛ وتتجلى شخصيته الأصيلة والعظيمة في سنته وأحاديثه الشريفة. وتُعد سنة النبي ﷺ أعظم قوة في الكون، فهي منهج حياة يصلح تطبيقه في كل زمان ومكان. والدين الإسلامي يستند إلى سنة رسول الله ﷺ، لذلك فإنه يُعد تربية وتعليماً مستمراً لا ينضب، يتمتع بالحيوية والدرجة العالية التي لا ينافسها فيها أي منهج أو طراز تربوي وتعليمي آخر. وإذا ما أفلحنا في الوصول إلى هذا الوعي، ونجحنا في نقل هذه الحكمة إلى الحياة وتطبيقها فيها، فإننا نكون قد وصلنا إلى قمة الوجود الإنساني. فعندما يتحد القرآن الكريم مع الأحاديث والسنة النبوية الشريفة ينبثق إلى الوجود أعظم نور للهداية والإرشاد، وهذا يعني ضرورة أن تكون كافة تصرفات المؤمنين وأعمالهم، وطاعاتهم، وأقوالهم مبنية على القرآن والحديث.

إن الرحمة الإلهية تشفي قلب الإنسان وترقِّقه، وتُوقِظ البصيرة أي "عيون القلب". والرحمة الإلهية تربِّي الإنسان بتمامه، بكل ذرَّاته وخلاياه، وليس جانباً منه، وتقود الإنسان لتبلغ به إلى الحالة التي وصفها الله في كتابه الكريم: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾

إن مسألة أداء العبادات والسنن مسألة قلبية، لأننا نتتبع آثار حبيب الله تعالى، وإنَّ تتبع آثاره يعني أننا نرث من أخلاقه، وإن التوارث من أخلاقه ينتهي بمحبة العبودية. والسنة النبوية تعني عيش محبة عالمية، لأننا نتلقى العالمية ميراثاً من تلك المبعوث رحمة للعالم أجمع. وترثون لذة التعبد من القائل: "وجعلتُ قرة عيني في الصلاة."، وترثون من ذلك الإنسان الذي عاد إلى الأرض بعد أن عاش أسمى تجربة لا يمكن وصفها ألا وهي رحلة المعراج، ترثون من ذاك الإنسان "العبودية الحقيقية" التي تُعد قرة عين جميع العباد، وأعلى درجة يمكن أن يصل إليها المؤمن.

وإنكم ترثون من ذاك الإنسان الذي قدَّم أجمل نموذج للشفقة والرحمة والتواضع بقوله: "اللهم اغفر لهم فإنهم لا يعلمون." و "أنا بشر مثلكم"، ترثون منه أغلى وأثمن الكنوز، وفوق كل ذلك ينبغي أن نقف في صف خلف سيدنا رسول الله ﷺ ونسيح في حال من الفناء البدني والقلبي والعاطفي والذهني عند قراءة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ من سورة الفاتحة. إن الشعور بالعبودية يبلغ ذروته مع هذه الآية الرابعة ويسري في كل ذرة من ذرات كياننا، وتُعد هذه الآية ترجماناً ضابطاً للشوق، وتجلياً لسر الحمد الذي وجد حقيقته في الأخلاق العظيمة والأصيلة لسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

إن السر الإنساني الأهم إنما هو إدراك الحكم الكامنة في الأخلاق المحمدية والعيش وفقها، ثم بيانها بصورة سليمة ومستقيمة. فالمؤمنون المطلعون على الأخلاق الأصيلة والعظيمة لرسول الله ﷺ لا يُمكن أن يعدوا من الأتباع الحقيقيين لسيدنا محمد ﷺ ما لم يحولوا تلك الأخلاق إلى عمل. أي إن المحبة لا تأتي من العلم، وإنما تأتي من التقليد والاتباع الصادق والمخلص لحياة نبينا ﷺ، لأن سيدنا رسول الله ﷺ كان قرآناً حياً يمشي على الأرض. وأما تقليده والتشبه به فلا يكون لمجرد التقليد الشكلي والظاهري، وإنما يكون بالعمل على فهم الحكم الموجودة في تعاليمه، وبذل الجهد للاصطباغ بأحواله الروحانية.

إننا لا نصبح بحق من أهل السُّنَّة بغير محبة التسليم والطاعة والعبادة والخدمة والعمل. ولا يمكن أن نعثر على الشفاء من غير السُّنَّة، ولا يمكن أن يتجلى نور الهداية، ولا تتولد محبة رسول الله ﷺ من دون الشفاء، ولا تنزل الرحمات من دون الشعور بالمحبة تجاه رسول الله ﷺ، وبالتالي لا تُفتح أبواب الإخلاص والصدق والصحبة والقرب إلى الله تعالى من دون الرحمة. أي إن اللحاق بأهل السنة يعني الالتجاء إلى رحمة الله تعالى، وذلك لأنها السر الربَّاني. فالحقيقة هي أن أبداننا لا تتعلم إلا بالفيوضات الإلهية، ولا تتربى إلا برحمة الله تعالى، والشفاء في الحقيقة يأتي من رحمة الله ونوره.

عندما يسجد القلب يتولد فيه عشق الاستسلام والتسليم. ومحبة الاستسلام تتطلب قلباً صافياً نقياً خالياً من الشوائب، قلباً شبيهاً بعبد متعلق بسيده تعلقاً تاماً لا انفصال فيه. إن أعظم بطلَين من أبطال التسليم والاستسلام هما سيدنا إبراهيم وابنه سيدنا إسماعيل عليهما السلام، إذ أظهرا استسلاماً تاماً للإرادة الإلهية لا يشوبه مثقال ذرة من التردد. لقد جسَّدا وأسمى الأوصاف الأخلاقية؛ مثل الشجاعة، والإقدام، والصدق، والاستقامة، والحزم، والبعد عن الشك، والتفاني. ونفَّذَا أوامر الله تعالى بإيمان بلغ مرتبة اليقين المطلق، وبعيدٍ عن مشاعر الخوف والشك والحزن. وأظهر سيدنا إسماعيل عليه السلام بإرادته استسلاماً تاماً، وأخضع عنقه للسكين تماماً مثل حَمَلٍ مستسلم للذبح. إن هذه الحالة التي جسدها سيدنا إسماعيل عليه السلام هي أعلى مراتب المروءة والشهامة التي يمكن أن يتحلى بها إنسان لحظة موته.

إن الشك، والتردد، وإثارة التساؤلات، وانعدام الثقة، والحيرة، واللامبالاة، والإعراض، والخوف،

والجبن، كلها من الأعراض التي يبثها الشيطان للإنسان في هذه الأيام، فنحن اليوم في حالة يرثى لها من انعدام الإرادة والحزم والجدية، إذ نعاني من فقدان الشجاعة، والإقدام، والصدق، والاستقامة، والعزيمة، والتسليم غير المشروط. لقد أثبت لنا جد الأنبياء سيدنا إبراهيم عليه السلام من خلال حياته السامية بأن التسليم والاستسلام إنما هو عمل نابع من المحبة. لهذا صار سيدنا إبراهيم عليه السلام النبي الداعي إلى التوحيد، وبيَّن بأن التوحيد إنما هو عبودية لا نهاية لها.

ينبغي أن نعلم بأن محبة التسليم لا تختلف عن محبة البذل والإنفاق، إذ إن ميزان المحبة التضحيةُ والبذل من ملذات النفس. وإن دموعنا في سبيل الحقيقة، وخفقات قلوبنا، وجهودنا وأعمالنا سوف تكون نياشين محبة لنبينا، وأهل بيته، وأصحابه الكرام. يقول الدكتور خلوق نور باقي:

"عندما لا نتحلى بخلق البذل، فإن محبتنا لسيدنا المصطفى ﷺ ولآل بيته وأصحابه الكرام تكون مزيفة."

ويقول أبو بكر الصديق رضي الله عنه: "السخاء الحقيقي تحمل الصعاب والمشاق من أجل التخفيف من آلام الآخرين."

إن الشجرة عندما تخضَّر فإن أغصانها تمد أعناقها نحو الأعلى، وأما عندما تثمر فإن أغصانها المثقلة بالثمار تحني رؤوسها نحو الأرض. وليس في هذه الدنيا أحد من الناس أثمرَ مثل رسول الله عليه الصلاة والسلام، لهذا فإن تواضعه قد وصل إلى أعلى المراتب والدرجات. ونحن عندما نكون وراثاً لشخصيته الأصيلة، وخصاله السامية الرفيعة، فإننا سنشعر بمدى ثقل المسؤوليات الإلهية الملقاة على عاتقنا، لذلك يقول مولانا جلال الدين الرومي في إحدى رباعياته:

"إنني خادمُ القرآن، وذرة غبار في طريق المصطفى المختار ﷺ، وجعلت عقلي فداء لأحكام المصطفى عليه الصلاة والسلام."

إن الدين الإسلامي يُطالِب بمسؤولية شاملة وبتسليم واستسلام لا محدود. وقد بلغت العبودية في الإسلام مرحلة الكمال من خلال خُلُق البذل والإنفاق بالنفس الذي تحلى به النبي عليه الصلاة والسلام، وكذلك أهل بيته وأصحابه. إذ حمل آل بيته وأصحابه على عاتقهم كل أثقال مسؤوليات إيمانه، وكثيراً ما دفع هؤلاء حياتهم وأرواحهم ثمناً لتحمل هذه المسؤوليات. وقد استمر هؤلاء بأداء وظيفة العبودية على أكمل وجه حتى في الأحوال التي كانوا يتعرضون فيها لأصعب الظروف، وأعظم المصائب، وذلك لأن كيانهم كان قد تشبَّع بمحبة الله ورسوله. لقد واجه هؤلاء الاختبارات الصعبة والشاقة ووقفوا بوجهها بكل شجاعة، وتعاملوا مع المؤمنين الذين دخلوا الإسلام بمنتهى الرقة واللطف، والرحمة، والمحبة.

تُعد أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها من أعظم الأمثلة لحب البذل والإنفاق، وذلك لأنه لا يستطيع أحدٌ تحمل المسؤولية الملقاة على عاتقه بدرجة عالية من الكياسة، والصدق، والإخلاص، والمحبة كما فعلت هي! فالمسلمون في مكة كانوا ابتداءً من نزول الوحي ولمدة اثنتي عشرة سنة يتعرضون يومياً لشتى ألوان العذاب والتنكيل، وكان يستشهد منهم الكثير نتيجة لذلك، وقد كانت هذه الأحداث تسبب للنبي ﷺ ألماً وحزناً عميقاً، إلا أن السيدة خديجة رضي الله عنها كانت تأخذ هذه الأعباء التي لا تطاق على عاتقها.

وأود أن أختم حديثي بقول للشيخ عثمان نوري طوبَّاش:

"إن أعظم كرامة لأبي بكر رضي الله عنه ولاؤه المطلق، وتسليمه وطاعته الاستثنائية لرسول الله ﷺ، وسريان سائر الخصائص الشخصية المثالية للنبي عليه الصلاة والسلام إليه بأعلى المستويات."

المشاعر والتصرفات المسمومة المفسدة للألفة والمحبة

الدكتور: آدم أركول

يمكن القول بأن أخلاق المؤمن هي الصبغة الفطرية للإنسان السوي الذي لم يتعرض للفساد والانحراف، هذه الصبغة صبغة ربانية يستحيل تصور ما هو أفضل منها بأي شكل من الأشكال مهما أطلق الإنسان العنان لخياله. وحقيقةُ الدين المكوَّنة من الإيمان والإسلام والإحسان إنما هي نهج إلهي ونبوي يُوصِل الإنسانَ إلى العزة والكرامة اللائقة به، وذلك من خلال المحافظة على الفطرة السليمة، وتطهيرها وتنقيتها، وإيصالها إلى النضج الحقيقي بصورة صحيحة. هذا السبيل سبيلُ الصلح والسلام الذي يقود الإنسان نحو أجواء التصالح، والصداقة، والمحبة، والوئام، والألفة مع نفسه ومع بني جنسه الذين يشاركونه المشاعر والأحاسيس ذاتها، ومع الكائنات جميعاً. لهذا فإن الإيمان يُعد قوة تربط الكون جميعاً- ماعدا أعداء الله- وتصهرهم في بوتقة واحدة، وتؤاخي بينهم. إن كل شيءٍ- مهما كان اسمه أو شكله- يفسد صفو هذا الجو المثالي الذي ينبغي الوصول إليه وعيشه إنما هو أساساً لضعف الإيمان. فلا بد أولاً من حماية البضاعة القيمة المتمثلة بالألفة والمحبة والأخوة التي تنمو وتثمر في القلوب من خلال الإيمان، من تأثير العوامل المضرة بها وحفظها من الضياع. ومصدر هذه العوامل الضارة التي أشرنا إليها الإغراءاتُ والأهواء، والمشاعر، والأفعال، والشهوات الشيطانية والنفسانية. وأما وسائطها فهي اللسان، واليد، والقلب الذي فسد صفاؤه، وقد أطلعنا الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام بوضوح على الطريقة التي تفسد بها هذه الوسائط.

الواسطة الأولى: سم اللسان المؤذي والجارح والمفرِّق والمفسد للعلاقات. إن جرح اللسان أشد الجِراح عمقاً، وقد قيل أن جرح السيف يندمل ويُشفَى إلا أن جرح اللسان دائم النزف لا يُشفَى، ذلك أن الأول يجرح القسم الخارجي من الجسم، أما الآخر فيجرح قلب الإنسان وجوهره.

إن هذه الجِراح اللسانية تحدث أحياناً نتيجة لمحتوى الكلام، وأحياناً أخرى نتيجة لأسلوبه. فالكذب في العلاقات مثلاً يُعد سُماً من السموم التي تنشر بذور فقدان الثقة والأمانة، والافتراء يُعد قاتلاً يهدر كرامة الإنسان وشرفه، وكأنه يُدخِل المُفترَى عليه في الأموات وهو ما يزال حياً، وأما الغيبة فإنها تُعد عملية منظمة لإهانة الإنسان أمام الآخرين المحيطين به، واحتقاره وإذلاله.

وكذلك فإن الإهانة والتحقير، والكلمات البذيئة، والتنابز بالألقاب السيئة وغيرها من العبارات والتصرفات المؤذية كلها أعمال وأساليب شيطانية للِّسان الذي لم يتلقَ التربية اللازمة، وقد تفسد العلاقات السليمة.

والجانب الآخر لسم اللسان الذي يجرح إنما هو أسلوب الكلام، إذ إن الطاقة السلبية التي تحملها الكلمات غير المناسبة المستخدمة في الجمل المصاغة تبرِّد المشاعر الجياشة وتخمد شعلة العلاقات. وربما يكون الكلام الصادر عن اللسان صحيحاً؛ إلا أن الأسلوب المتَّبع في الحديث يكون مؤذياً وهداماً.

وينبِّه ربُّنا ﷻ عباده في هذا الشأن ويُذكِّرهم دائماً بوجوب التحدث مع المخاطَبين بأسلوب راقٍ ولين يُشعرهم بأهميتهم وقيمتهم الإنسانية، فيقول:

﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ (الإسراء: ٢٣)

ويشير إلى ضرورة التذكير بالحق بأسلوب بعيد عن الفظاظة والقسوة في الحديث، بل باستخدام كلام لطيف يدغدغ المشاعر ويلامس القلب فيقول:

﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا﴾ (طه: ٤٤)

ويبيِّن أهمية الابتعاد عن الصياح والصراخ، ورفع الصوت في الكلام والتعبير عن الرأي، واستخدام نبرة هادئة ورزينة فيقول:

﴿وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (لقمان: ١٩)

ويدعو عباده إلى اللطف والرِّقَّة والرقي والترفع عن الإساءات في الحديث فيقول:

﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ (الإسراء: ٥٣)

من الأمراض الخطيرة التي تمزق علاقات القلوب سوء الظن والشك والأفكار السيئة التي تجول في ذهن الإنسان تجاه إخوانه المؤمنين مع عدم استناد تلك الظنون إلى دليل قطعي حتى إنه يمكننا القول بأن مصدر الطاقة السلبية لأفعالنا المفسدة التي نرتكبها بأيدينا وألسنتا إنما هو في أغلب الأحيان قلوبنا وأنفسنا التي لم تخضع للتطهير والتزكية المطلوبة.

إن الآية الكريمة السابقة تلفت الانتباه إلى مسألتَين:

المسألة الأولى: السعي الدائم لإيجاد أفضل الكلام وأحسنه، لأن الكلام الجميل والحسن بالنسبة إلى شخص ما قد يكون قبيحاً وفظاً وبعيداً عن الأدب بالنسبة إلى الآخرين.

لذلك فإن كل إنسان يتحمل مسؤولية التحسين المستمر للذات لانتقاء أفضل الكلام لديه.

والمسألة الأخرى: إمكانية تحوُّل الدلالات الغامضة المُلاحظَة وغير المُلاحظَة التي قد تجد طريقها إلى الظهور بالكلمات، إلى بذور للشقاق والعداوة بين المؤمنين.

إن العامل الثاني الذي ينسف العلاقات من أساسها ويحوِّل الألفة إلى عداوة أمورٌ نقوم بها إما بأيدينا، أو بأجسامنا، أو بقدرتنا وقوتنا.

ومثال ذلك الظلمُ فهو سُمٌّ قاتل، وكذلك السخرية والاستهزاء بأحد من الناس من خلال إشارات بالعين أو الحاجب، والأمر ينطبق على الأنشطة التي يتم بها نشر الفساد في الأرض.

وكذلك فإن تتبع عيوب الناس وفضحها بدلاً من سترها- أي بلاء التجسس- يُعد مرضاً عضالاً في المجتمع ومفسداً للعلاقات.

وكذلك الأمر بالنسبة إلى الاشتراك في المسابقات التي تجعل موضوعها الرئيسي استهزاء أعضاء إحدى المجموعات من المجموعة الأخرى، وتوجيه الإهانات لبعضهم.

فهذه الأفعال والتصرفات والأساليب والكثير غيرها هي كالفيروسات توصِل إسلامنا إلى حالة مزرية ومعيبة لا تليق بالإنسان المؤمن.

ويحذرنا رسول الله ﷺ في هذا الشأن بقوله:

"المسلم من سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده"

(البخاري، الإيمان، ٤- ٥، الرقاق، ٢٦؛ مسلم، الإيمان، ٦٤ – ٦٥)

أما العامل الثالث الذي يفسد أخلاق الأخوة فهو الفساد الكامن في أخلاقنا القلبية.

ومن مظاهر هذا الفساد والأمراض التي تتسبب به تكبرُ المؤمن على أخيه المؤمن، وكذلك اعتبار العرق، والنسب، والطائفة، والمذهب، والحالة الاجتماعية موازين للتفاضل.

ومن ذلك أيضاً تنمية مشاعر الحقد، والبغضاء، والكراهية، والعداوة في القلب تجاه المؤمنين، وكذلك مشاعر الحسد؛ فالعداوة التي نشبت بين قابيل وهابيل، وبين يوسف عليه السلام وإخوته كانت نتيجة لمشاعر الحسد.

ومن الأمراض الخطيرة التي تمزق علاقات القلوب سوء الظن والشك والأفكار السيئة التي تجول في ذهن الإنسان تجاه إخوانه المؤمنين مع عدم استناد تلك الظنون إلى دليل قطعي.

حتى إنه يمكننا القول بأن مصدر الطاقة السلبية لأفعالنا المفسدة التي نرتكبها بأيدينا وألسنتا إنما هو في أغلب الأحيان قلوبنا وأنفسنا التي لم تخضع للتطهير والتزكية المطلوبة.

وخلاصة القول أن المرض الذي يمزِّق العلاقات، وينسف الألفة، ويحوِّل الأخوة إلى عداوة إنما هو كامن في دواخلنا وأنفسنا.

ولا بد أن يسري تأثير إيماننا في قلوبنا وألسنتنا وأيدينا وكل خلايا جسدنا، كي تتجلى أخلاق المؤمن وتنعكس على جوارحنا وقلوبنا. فعندما تنصهر النفس في بوتقة الإيمان فإن كل العالَم – ما عدا أعداء الله – يتحول إلى حبيب وصاحب.

وما أجمل البيت الذي أنشده العارف بالله نيازي مصري، إذ قال:

كنت أظن بأنه لم يبقَ لي في هذا العالم من حبيب

فلما تركت نفسي وجدت أن سائر الأغيار قد تلاشوا

علامـــــــات
الإخلاص والرياء

عَنْ أُمِّ المُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ:

﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾. قَالَتْ عَائِشَةُ: أَهُمُ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟

قَالَ ﷺ: «لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُمْ، أُولَئِكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ» (الترمذي، ٣١٧٥)

قال العلامة المبارك فوري في -تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي-:

{وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ} أَيْ يُعْطُونَ {مَا آتَوْا} أَيْ مَا أَعْطَوْا مِنْ الصَّدَقَةِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ {وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ} أَيْ خَائِفَةٌ أَنْ لَا تُقْبَلَ مِنْهُمْ وَبَعْدَهُ {أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ} أَيْ لِأَنَّهُمْ يُوقِنُونَ أَنَّهُمْ إِلَى اللَّهِ صَائِرُونَ {أُولَئِكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ} كَذَا فِي هَذِهِ الرِّوَايَةِ, وَفِي الْقُرْآنِ { أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ } أَيْ يُبَادِرُونَ إِلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ ({ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ }) أَيْ فِي عِلْمِ اللَّهِ وَقِيلَ أَيْ لِأَجْلِ الْخَيْرَاتِ سَابِقُونَ إِلَى الْجَنَّاتِ أَوْ لِأَجْلِهَا سَبَقُوا النَّاسَ. وَقَالَ اِبْنُ عَبَّاسٍ: سَبَقَتْ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ السَّعَادَةُ.

وَعَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ العَوَّامِ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُ خَبِيءٌ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ فَلْيَفْعَلْ».

خبيء من عمل صالح: أي من الأعمال الخفيّة التي لا يطّلع عليها أحد من الناس, خالية من الرياء, فتكون خالصة لله تبارك و تعالى مثل صلاة النافلة في جوف الليل أو صدقة السر أو أي عمل آخر من الأعمال الصالحة.

عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ»

قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

قَالَ: «الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً».

الرياء لغة: معناه الإظهار. ومعناه شرعاً: (فعل الخير بقصد أن يراه الناس ويحمدوه عليه). فترى المُرائي يُحسّن العمل أمام الآخرين، ولا يقصد طاعة الله بهذا التحسين للعمل. وإن من أهم أسباب الرياء: حُبّ الظهور والرئاسة وضعف الإيمان. وأخطرُ نتائج الرياء: عدم قبول الأعمال عند الله تعالى، وعدمُ الثّقة بين الناس. وقد جعل الله تعالى للأعمال شرطين أساسيين. هما: أولاً أن يكون العمل صالحاً صواباً مشروعاً موافقاً للكتاب والسنة. وثانياً أن يكون عملاً خالصاً لله تعالى بعيداً عن كل أنواع الشرك كبيرهِ وصغيرهِ. ومن الشرك: الرياء لقوله تعالى:

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾

عثمان نوري طوباش

خير أمة

يقول الله تعالى:

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (آل عمران: ١١٠)

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (فصلت: ٣٣)

لقد فخرت هذه الأمة –وحُقَّ لها أن تفخر– بما شهد الله تعالى لها به، حيث يقول سبحانه:

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ...﴾ [آل عمران:١١٠]

فهذا الثناء الرباني على الأمة المحمدية ليس تشريفا فحسب، بل هو تكليف أيضًا، فمناط الخيرية في أمة الإسلام مرتبط بالإيمان بالله تعالى، والاستقامة على شرعه، وهداية الخلق إليه:

﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾ [آل عمران:١١٠]

فمن حقق الشرط تحقق له المشروط وقامت به الصفة؛ كما قال عمر ﷺ:

(من سره أن يكون من هذه الأمة فليؤد شرط الله فيها) تفسير ابن جرير الطبري، ٤/ ٤٣

فالمسلم الحقيقي هو الذي يمثل الإسلامَ بشخصيته وسيرته، فهذا الدين العظيم يطلب من كل مؤمن به أن يكون ذا «شخصية» مميزة.

وقد كان رسول الله ﷺ قبل أن يُبلِّغ الإسلامَ ذا شخصية فاضلة يعرفها الناس كلهم.

فعن ابن عباس ﷺ قال: صعد النبي ﷺ على الصفا، فجعل ينادي: «يا بني فهر، يا بني عدي» - لبطون قريش - حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولًا لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: «أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلًا بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقي؟» قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقًا.

وبعد الإقرار على صدقه وأمانته، شرع في تبليغ أوامر الله ونواهيه. وعندما بلَّغ المسلمون هذا الدين العظيم مقتدين برسولهم، نشأت حضارة عظيمة مليئة بالفضائل والقيم في عصر الرسول والخلفاء الراشدين، وفي خلافة عمر بن عبد العزيز، وفي القرون الثلاثة الأولى من حكم المسلمين الأندلسَ، وفي القرون الثلاثة الأولى من الخلافة العثمانية. وظهرت حضارة إنسانية فريدة ارتقت في الأخلاق، والعلم، والحياة الاجتماعية والاقتصادية، والعمارة، والأدب.ولنذكر هنا مثالَين لنتعرف إلى أصحاب تلك الحضارة العظيمة:

سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ...

لقد كان سيدنا عمر ﷺ قبل أن ينال شرف الإيمان مثالًا للإنسان الجاهلي الذي لا يجد رحمة أو رقة في قلبه ولا يراعي حقوق أحد. غير أنه بعد إيمانه صار ذا قلب رقيق يتحلى بالإيثار والحكمة، ومَضْرَب مَثل في العدالة. فما عاد عمر ﷺ ذلك الإنسان ذا الطبع الفظ الغليظ القلب، بل حلَّ مكانه عُمرُ الرؤوف الخاشع الحذر حتى من إيذاء نملة، والمفكر في سعادة الأمة، والشاعر بالمسؤولية العظيمة.

فكان يحاسب نفسه دائمًا ويقول: «لو هلك حَمْلٌ من ولد الضأن ضياعًا بشاطئ الفرات خشيت أن يسألني الله عنه».

وكان يحمل جراب الطعام في الليل ويدور على بيوت الفقراء والمحتاجين، وكان دائمًا إلى جانب اليتامى والمساكين. وما كان يجد الراحة والسكينة في فؤاده قبل أن يواسي المنكسرة قلوبهم، ويمسح دموعهم، ويزرع الابتسامة في وجوههم.

عمر بن عبد العزيز ﷺ...

حفيد عمر بن الخطاب ﷺ، وخامس الخلفاء الراشدين. تقول زوجته فاطمة مبينة حاله التي تعكس رقة قلبه:

«دخلتُ يومًا عليه وهو جالس في مصلاه واضعًا خده على يده ودموعه تسيل على خديه، فقلت: مَالَك؟ فقال: ويحك يا فاطمة، قد وليت من أمر هذه الأمة ما وليت، فتفكرت في الفقير الجائع، والمريض الضائع، والعاري المجهود، واليتيم المكسور، والأرملة الوحيدة، والمظلوم المقهور. والغريب والأسير، والشيخ الكبير،

لقد فضل الله تعالى هذه الأمةَ وميزها واختصها على غيرها من سائر الأمم بكرامات كثيرة في الدنيا ليست لغيرها، لم تكن لها أن تتميز وتنبؤا هذه المكانةَ وتلك الفضيلةَ إلا بتعظيمِ الله لرسولها وتكريمِ نبيها واتباع هذه الأمةِ نبيها صلى الله عليه وسلم، فبهذه الأمة أتم الله الشرائع السماوية، وجعل دينها الأكملَ والأجمل والأصلح للبشرية، وينبغي لأتْباعِ هذه الأمةِ المحافظةُ على خصوصياتِ أمتهم في زمنِ الدعوة إلى إزالةِ الفوارقِ بين الأمم

وذي العيال الكثير، والمال القليل، وأشباههم في أقطار الأرض وأطراف البلاد، فعلمت أن ربي ﷻ سيسألني عنهم يوم القيامة، وأن خصمي دونهم محمد ﷺ، فخشيت أن لا يثبت لي حجة عند خصومته، فرحمت نفسي فبكيت».

لقد نشأت حضارة الإسلام العظيمة بمثل هؤلاء من ذوي القلوب المهتمة بأمر الأمة، والتي تركت راحتها في سبيل راحة عباد الله وسعادتهم. فلم يجد أغنياء تلك الحضارة فقراء يدفعون لهم زكاة أموالهم، ذلك أنهم كانوا خير أمة ولم يكن أحدهم يبيت «وجاره جائع إلى جنبه»

إننا من خير أمة توضِّح شخصية الإسلام في الإيثار والأخوة في الدين:

يقول مولانا جلال الدين الرومي:

«علَّمني شمس الدين أدبًا عظيمًا حين قال:

(إذا كان في الدنيا مؤمن واحد يشعر بالبرد، فليس لك حق أن تتدفَّأ)

ولأنني أعلم أنه ثمة مؤمنون في الأرض يشعرون بالبرد، فلن أشعر بالدفء ما حييت».

ويقول الشيخ أبو الحسن الخرقاني:

«إن أي أخٍ لي في الدين من الشام إلى تركستان إذا ما دخلت شوكةٌ إصبعه، فكأنما دخلت إصبعي؛ وإذا أُصيبت قدمه بحجرة، فستؤلم قدمي؛ وإن كان هناك حزن في قلب ما، فذاك القلب قلبي».

وهكذا هم الناس في «خير الأمم»...

فكل حضارة فاضلة تربي إنسانًا فاضلًا يمثِّل صفاتها وشخصيتها.

إن الحضارة الإسلامية وصلت إلى ما لم تصل إليه الحضارات الأخرى في تاريخ الإنسان. وعلة ذلك أنها كانت حضارة قائمة على دعم الفطرة البشرية السليمة بما وهبها الله من علم وعرفان وحِكم. وكانت نتيجة اندماج هذا الاستعداد الفطري وتلك الفيوضات الروحانية ظهورَ حضارة عظيمة، ألا وهي: «الحضارة العثمانية».

والحق أن العثمانيين برعوا في الجانب المادي وارتقوا في الجانب الروحاني، وما فتحوا البلاد إلا ليفتحوا القلوب ويُدخِلوا فيها أنوار الإيمان.

وهذا ما عبَّر عنه مؤسس الدولة العثمانية عثمان الغازي في نصائحه لابنه أورخان الغازي ولكل من يأتي بعده من رجال الدولة، إذ قال:

«واعلم يا بني أن طريقنا الطريق إلى الله، ومقصدنا تبليغ دينه. وليست دعوتنا صراع وحروب لحُكم العالَم، بل لإعلاء كلمة الله».

وأما أورخان غازي فقد فضَّل الفتح المعنوي على فتح البلاد، فقال: «المروءة أفضل من الغزوة». وكان يخلِّد الفتوحات بهداية الناس، فيُسكِن أولًا أهل الله والصالحين في البلاد التي يفتحها، فكان عيش هؤلاء وتبليغهم الدين بأحوالهم وسيلة هداية لأهل البلد كلهم.

وكان من نصائح أورخان غازي لابنه مراد:

«لا يكفي سيادة العثمانيين على قارَّتين، فدعوة إعلاء كلمة الله دعوة عظيمة لا تسعها قارَّتين».

فدخل السلطان مراد أوربا بعمله بهذه النصيحة، ووصل إلى كوسوفو.

ودعونا نتساءل هنا: لِمَ ترك مراد خان الأول جمالَ عاصمته بورصا وراحتها وذهب إلى كوسوفو؟ في سبيل أي غاية ضحَّى بنفسه؟

والجواب أنه أراد أن يكون من خير أمة تتبع نبيَّها، ومن المؤمنين الأخيار السعداء، ومن أمة تدعو للخير، وأن يسير على نهج المهاجرين والأنصار الذين جعلهم الله لنا جيلًا نقتدي بهم...

يقول الله تعالى:

﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]

في هذه الآية يحذِّر ربنا ﷻ عباده الذين ابتعدوا عن السعي لنيل رضاه بانخداعهم بزينة الحياة الدنيا وبهائها وراحتها.

لذلك ترك الصحابة الكرام بساتين النخل في المدينة وتوجهوا إلى سمرقند، بل وصلوا حتى الصين، وتوجه المسلمون إلى إسبانيا في خلافة عمر بن عبد العزيز، وفتح عقبة بن نافع القيروان، وكان يدعو الله معبِّرًا عن إيمان عميق فيقول: «يا رب لولا هذا البحر لمضيت في البلاد مجاهدًا في سبيلك».

إن كل ما فعله هؤلاء السلف العظام إنما ينطلق من خوفهم وخشيتهم من قوله تعالى:

﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾.

وقد ترك السلطان العثماني مراد راحة الدنيا مقتديًا بهؤلاء وسعى في سبيل الله تعالى، واستوطن من سار على دربه في البلاد التي فتحها. فدخل البوشناق في بوسنة الإسلامَ فكانوا يتحلون بالصدق والولاء وعلو الهمم، وصارت ألبانيا جزءًا لا يتجزأ من خير الأمم.

وكان همُّ العثمانيين إعلاء كلمة الله ﷻ، وتعريف الناس بالطمأنينة والراحة في الإسلام، والدعوة للخير والحق، والسعي لنجاة الناس في دار القرار.

وقد توجه السلطان محمد الفاتح بحملة إلى طرابزون لطرد البيزنطيين منها، وأراد أن يدخل القلعة من قسمها الخلفي، فسلك طريقًا بين الجبال والغابات، وكان حاملو الفؤوس يفتحون الطريق قبل الجيش. وفي حواف إحدى الأودية تعثرت فرس السلطان الفاتح، فنزف الدم من يده وهو يسعى للتمسك بصخرة. وكانت معه في تلك الحملة السيدة سارة أم السلطان أوظون حسن، فقالت له منتهزة الفرصة:

«أيها السلطان أنت سلطان ابن سلطان، وحاكم كبير، أتستحق هذه القلعة الصغيرة منك كل هذه المشقَّة؟»

ذلك أن أوظون حسن كانت له علاقة قرابة مع أمير طرابزون البيزنطي، فأرسل أمه مع السلطان فاتح كي ترجو رجوعه عن هذه الحملة. فقال الفاتح:

«أيتها السيدة العجوز، لا تظني أن المتاعب التي نتحملها إنما هي في سبيل قطعة أرض، بل اعلمي أن كل سعينا لخدمة دين الله، وتبليغ هذا الدين للناس، ولكي لا نقف أمام الله تعالى ووجوهنا مسودة. وإن اخترنا راحة البدن على التعب في سبيل الله مع قدرتنا على تبليغ دينه وإعلاء كلمته، فهل نستحق أن نسمى غزاةً؟ إن لم نبلغ الإسلام لأهل الكفر ولم نكفهم عن طغيانهم فبأي وجه نلقى الله يوم القيامة؟»

فالمسلم في هذه الأمة يكون إسلامه ناقصًا إن كان قائمًا على المنفعة لا المشاركة الاجتماعية، فلا بد أن يتسع صدر المسلمين للعالَم كله، وعلى كل مسلم أن يرى نفسه مسؤولًا عن ما يحدث حوله.

إن هؤلاء السلاطين شخصيات ربَّتهم خير الأمم، فعبروا عن شخصية الإسلام في كل مجالات الحياة.

إننا من خير أمة تعرض شخصية الإسلام في العمارة:

عندما ننظر إلى مسجد السليمانية في إسطنبول نجد وكأنه صورة إنسان يدعو الله فاتحًا يديه إلى السماء. وليس ذلك إلا لانعكاس ما بداخل القلوب الطاهرة التي بنت هذا المسجد على حجارته وجدرانه ومناراته وقبابه...

إن هذا المسجد تحفة فنية لحضارتنا التي مزجت بين المادة والروح.

وأبناء تلك الأمة لم يكونوا ليبنوا بيوتهم إن كانت ستحجب ضوء الشمس عن جيرانهم. وأما الأبنية في

هذه الأيام وناطحات السحاب فهي كشواهد القبور لتلك المدن التي لا روح فيها.

إن كل جزء من الحضارة مثل كل حجرة وكل خط وكل عنصر يساهم في كمال التحفة المعمارية، ولأن «الإنسان» مركزُ حضارتنا، فإن العظمة والرفعة في هذه الحضارة أصلها إنما هو ذلك الإنسان الذي يمثلها.

إننا من خير أمة تعرض شخصية الإسلام في الإنسانية:

في الماضي كانت العادة إن مرض أحد في البيت أن يضعوا أصيصًا أحمر اللون في الشرفة، فإن رآه الباعةُ المتجولون مروا بهدوء، وإن رآه أطفال الحي لعبوا في حي آخر كي لا يزعجوا المريض.

لقد كانت تلك التربية نتاج نظام تربوي فريد، فأي مربٍّ أو أي عالم نفس أو أي دارس للمجتمعات يمكن له أن يقدم مثل هذه التربية هذه الأيام؟

إننا لا نجد مثل تلك التربية اليوم، بل نجد أن حق المجتمع كله يُنتَهك في حفلات الزفاف والأفراح حين يُطلِق الناس الألعاب النارية من أجل المتعة، دون أن يفكروا إن كان في جوارهم رضيع أو حامل أو مريض أو محزون لفقد قريب.

مع أن أجدادنا- خير الأمم- كانوا أناسًا أصحاب قلوب رقيقة لا يؤذون حتى أضعف مخلوقات الله سبحانه وتعالى.

فقد كان في أمتنا أتباع عزيز محمود هدائي ذوو القلوب الصافية الذين لم يكونوا ليقطفوا وردة خشية أن يمنعهم ذلك عن الذكر.

وكان في أمتنا أتباع يونس أمْرَه الذين لم يكونوا ليؤذوا حتى النملة وكان شعارهم: «نحب المخلوقات من أجل الخالق». وكان في أمتنا أتباع المعماري سنان، والخطاط قره حصاري، والشاعر فضولي. وكان في أمتنا شخصيات قدوة تعكس للعالم جمال قلب المؤمن وظرافته وعظمته.

إن هذه الأمة أتباعُ مولانا جلال الدين الرومي، ويونس أمْرَه، والجيلاني، وشاه نقشبند، وعزيز محمود هُدائي، والسلطان فاتح، والشيخ آق شمس الدين، والسلطان ياوز سليم.

وحضاراتنا حضارة فضائل، فالواجب علينا اليوم أن نسير على دربها.

يقول الشاعر التركي عارف نهاد آسيا:

فليفض الإيمان من القلوب مرة أخرى
وليؤلِّف عطري ألحانه
وليقرأ شلبي آيات الله
ولينسخ كايشزاده عثمان نسخ القرآن
وليكتب غالب أشعار النعت
وليكتب سليمان أشعار المولد
وليرجع سنان مع الأعمدة والقناطر والقباب

ونحن إن نظرنا في التاريخ سنجد أن الطمأنينة والسعادة والراحة تبقى في المجتمع ما عاشت خير الأمم.

وأما شعار النظام الليبرالي: «دعه يعمل، دعه يمر» فلم يكن إلا سببًا لإطلاق العنان للرغبات النفسانية، وإفساد القلوب والأذهان بزرع مفهوم الحياة دون التفكير في الآخرة.

واليوم نعيش في عصر بلغت فيه قدراتنا المادية أوجها، غير أن الأرواح ما زالت مريضة، والقلوب عطشى، والإنسانية كلها في دوامة لا مفر منها نتيجة الجوع المعنوي!

لكن إن نظرنا إلى عصر الرسول وخلفائه الراشدين فلن نجد أحدهم يعاني من نقص في الروحانيات مع قلة قدراتهم المادية.

فأولئك وصلوا إلى المعنى الحقيقي للطمأنينة والسعادة، وأدركوا أن لا عيش إلا عيش الآخرة.

فمن الضروري اليوم أن نسعى لنكون «خير أمة» كما كان السلف الصالح.

يقول رسول الله ﷺ:

«مَثَل أمتي مثل المطر لا يُدرَى أوله خير أم آخره»

[الترمذي، الأمثال، ٦]

فاللهم أكرِمنا بأن نكون قطرة خير في هذا الغيث المبارك.

يقول الله ﷻ في الآية الكريمة:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]

فيجب علينا- أمة محمد- أن نكون دائمًا أعزة على غير المسلمين وأعداء الدين، ونتحلى بالوقار ونعرض شخصية الإسلام والمسلم الحقيقي.

والله سبحانه تعالى يأمرنا حتى في العبادة أن نكون أصحاب شخصية، فنحن حين نقرأ الفاتحة في كل صلاة نتلوا قوله تعالى:

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ. صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦-٧]

فتؤكد هاتين الآيتين الكريمتين على الشخصية التي يجب أن تكون لدى المسلم، وضرورة أن يحيا كل مسلم متحليًا بهذه الشخصية في أمور حياته.

ولقد كان رسول الله عليه الصلاة والسلام يصون عزة الإسلام ووقاره، فقد أمر بصيام يوم مع يوم العاشر من محرم كي لا نتشبه ببني إسرائيل. ولا يخفى على أحد اليوم المفاسد التي لحقت بقيمنا المعنوية وشخصيتنا نتيجة ثقافة العولمة وعقلية الرأسمالية والمادية والليبرالية.

فما يبثه التلفاز من مشاهد تحرك شهوات النفس، والعناوين المريبة في الإنترنت، والإعلانات الخداعة، والهوس بكل جديد، يجعل من أجيالنا كالرجال الآليين تحركهم أصابع الثقافة المادية، فيغدو أحدنا ظاهرًا لا روح فيه، وتُفرَض علينا قيم خبيثة لا علاقة لنا بها، ونرتبط بعالَم ليس عالَمنا. ويمسي مجتمعنا مجتمعًا أنانيًّا قائمًا على المنفعة، ويفتر الإيمان، وتضيع الأخلاق والفضائل، وتنعدم الرحمة والرأفة والإنسانية، ويصبح الرجل منا جاهلًا فظًا لا مشاعر فيه. وتصبح الطرق الموصلة إلى السعادة والطمأنينة في المجتمع عسيرة مليئة بأشواك الماديات. إن المجتمع اليوم- مع الأسف- في أسوء حال، فلا بد أن ترتقي قلوبنا ونتمسك بقيمنا المعنوية أكثر كي نتخلص من هذا الفساد الذي حلَّ في كل مكان، ونقف قبل أن نسقط في الهاوية، ونمثِّل المسلم الحقيقي بالمحافظة على شخصية الإسلام دائمًا.

اللهم أكرمنا بأن تجعلنا من «خير أمة» تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر.

أمة الدعوة والهداية:

إنها الأمة التي أمرها الله تعالى بنشر الدين وهداية الخلق، والجهاد ضد كل من يقف في وجه ذلك، ولذلك ترك الصحابة الكرام بساتين النخل في المدينة حتى وصلوا إلى الصين، وتوجه المسلمون إلى إسبانيا في خلافة عمر بن عبد العزيز، وفتح عقبة بن نافع القيروان، وكان يدعو الله تعالى بقلب ينبض بالإيمان، فيقول:

(يا رب لولا هذا البحر لمضيت في البلاد مجاهدًا في سبيلك).

الحجاب ومكيدة الشيطان

التبرج

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا﴾

الدكتور: كريـــــم بولادي

لقد تم إقرار الحجاب الذي يأتي بمعنى التستر والاختباء والتغطية بوصفه أحد المبادئ الأساسية والأصلية في سائر الأديان السماوية. وأما التبرج وكشف أماكن العورة فقد تم استقباحه وعَدُّه عملاً مخلاً بالحياء والأدب. إن التستر بالنسبة إلى الإنسان سواء للذكور أو للإناث يستند إلى أصل فطري. وما يؤكد هذه المسألة ويبيِّنها بوضوح حادثة إخراج أبوَينا آدم حواء من الجنة وهبوطهما إلى الأرض للخطيئة التي اقترفاها في الجنة. يقول الله تبارك وتعالى:

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا﴾ (الأعراف: ٢٠)

فنجحت مكيدة الشيطان، وأكلَ سيدنا آدم وحواء من ثمر تلك الشجرة المحظورة؛ وأخبرنا الله تعالى بهذه الأمر في كتابه العزيز بقوله:

﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ (الأعراف: ٢)

إن هذه الحادثة، أي محاولة آدم وحواء ستر جسديهما بأوراق الجنة تبين بأن التعري يُعد من أهم مكائد الشيطان ووسائله لغواية الإنسان.

لقد خلق الله ﷻ اللباس كي يستر به الإنسانُ مواطنَ عورته، ولكي لا يقع ضحية لمكيدة الشيطان التي هي التعري والتبرج فقد حذَّره ونبهه بهذه الرسالة الإلهية:

﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا﴾ (الأعراف: ٢٧)

لقد فُرض على المرأة نمط أشمل من الستر يُشعرها باحترام طبيعتها الخاصة التي خُلقت عليها والتي تتمتع بالرهافة، واللطافة، والعفة، والجاذبية من الناحية

الجسمية. حيث قال ربنا ﷻ في مسألة حجاب النساء:

﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ...﴾ (النور: ٣١)

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ...﴾ (الأحزاب: ٥٩)

وقال حبيبنا ونبينا ﷺ بشأن الحجاب مخاطباً أسماء بنت أبي بكر أخت السيدة عائشة رضي الله عنهم جميعاً التي كانت قد جاءت إليه وعليها ثياب رقيقة: "يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم تصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا – وأشار إلى وجهه وكفيه." (أبو داوود، اللباس: ٣٤)

ويروى عن السيدة عائشة أم المؤمنين ﷺ أنها قالت:

"يرحم الله النساء المهاجرات الأول، لما أنزل الله: (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) شققن أكثف مروطهن فاختمرن به."

(أبو داوود، اللباس، ٣٣)

وجاء في رواية أخرى أنه لما نزلت الآية ٣١ من سورة النور عمدت نساء المؤمنين إلى ما عليهن من ثياب من صوف أو حرير فشققنها، واختمرن بها. فما إن نزلت آية الحجاب حتى سارعت النساء المسلمات ذلك اليوم إلى ستر رؤوسهن بما توفر لديهن من الثياب والقماش، وما إن سمعن الحكم القرآني بشأن الحجاب حتى أسرعن في الحال إلى تطبيقه، وتبني الحجاب الإسلامي الجديد مكان الغطاء التقليدي الذي كان منتشراً في ذلك الوقت. إن هذا السلوك الذي أقدمت عليه النساء المؤمنات يدل على عزيمتهم القوية، وإيمانه الثابت الذي لا يتسرب إليه شك تجاه أحكام القرآن الكريم. ويتبين لنا من رواية السيدة عائشة ﷺ مدى غيرة النساء المؤمنات واهتمامهن وإخلاصهن وصدقهن في رعاية أوامر الله تعالى، وكيفية تسابقهن في تطبيق أمر من الأوامر القرآنية. فإن هذه الرواية تثبت صفات الغيرة، والحرص، والصدق، والإخلاص التي كانت تتمتع به المسلمات المتدينات في مجال تطبيق الأوامر الإلهية والانقياد لها. ولا شك أن النساء اللاتي يبذلنَ جهداً اليوم من أجل تطبيق الأوامر الإلهية كما فعلت سابقاتهن، جديرات بالثناء والتقدير. إن مسألة الفهم الصحيح للإسلام وتكوين تصور واعٍ في هذه المسألة- أي قضية الحجاب- تجاوزت مسألة التمسك بالتقاليد. لقد كانت النساء في العصر الجاهلي يعقدن أغطية الرأس من الخلف، وأما الأطراف فكانت تتدلى على الجهة الأمامية، لذلك فقد كانت الرقبة وما حول الأذن والنحر مكشوفاً دون ستر. ولما جاءت مسألة الحجاب أُمرت النساء بأن تضربن بأطراف أغطية رؤوسهن على نحورهن كي يغطين رقابهن، وحناجرهن، والشعر الذي يحيط أو يتدلى على هذه المواطن، ولتخفين الزينة الموضوعة في الأذن، والرقبة مع مواضعها.

تقول السيدة عائشة ﷺ: "إن لنساء قريش لفضلاً وإني والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار أشد تصديقاً لكتاب الله ولا إيماناً بالتنزيل، ولقد أنزلت سورة النور: (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) انقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل الله إليهم فيها، ويتلو الرجل على امرأته وابنته وأخته وعلى كل ذي قرابته، فما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها المرحل، فاعتجرت به تصديقاً وإيماناً بما أنزل الله من كتابه، فأصبحن وراء رسول الله ﷺ معتجرات كأنهن على رؤوسهن الغربان." (أبو داوود، اللباس، ٣٣)

كانت المرأة في عصر الجاهلية تتجول بين الرجال وتسير في الطرقات مكشوفة الصدر دون تغطيته بأي شيء. وغالباً ما كانت تترك أيضاً ضفائر شعرها، ورقبتها، وأقراطها ظاهرة مكشوفة.

ويقول المفسرون إن النساء في زمن الجاهلية كن يرخين خمرهن من الخلف، وأما فتحات الثياب الأمامية أو ما يعرف بمكان النحر (الياقة) فكانت واسعة ومفتوحة، ولذلك فكان الصدر وما حوله يبقى مكشوفاً، فأُمرت النساء بأن يضربن بخمرهن حول نحورهن بقدر ما يسترن به صدورهن، ويخفينه عن الأنظار.

يمكن أن نستنبط من هذه التوضيحات أيضاً بأن السفور والتبرج المنتشر في عصرنا الحالي يُعد السمة الأبرز للعصر الجاهلي. حتى إننا نقف الآن وجهاً لوجه مع حالة من التبرج التي كانت سائدة يوماً ما في عصر الجاهلية. إن التبرج المنتشر في عصرنا الجاهلي الذي وصل به الأمر إلى ما يشبه انقطاع عرق الحياء والخجل قد بدأ يتحول إلى سبب لفساد الأخلاق العامة للمجتمع، وهدم دعائم مؤسسة الأسرة. فكما أن الخمر يُعد أم الخبائث في الإسلام، فإن التبرج والسفور أيضاً يُعد أساس الفواحش، وقلة الحياء، وانعدام الخجل. لذلك فإن أنجع ترياق لإنهاء مفعول سموم التبرج إنما هو الالتزام بالحجاب الذي أمر به ربنا ﷻ في القرآن الكريم.

ومن الواجبات الإلهية التي يُكلَّف بها الرجال أيضاً هي غض البصر عن المحرمات، حيث يقول الله تبارك وتعالى في هذا الشأن:

﴿لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ...﴾ (النور: ٣٠)

يُعد الستر واحدة من أهم السمات التي يتميز بها المؤمن، والتي لا يمكن الاستغناء عنها أبداً. وقد فُرض الحجاب من أجل المحافظة على السلام الروحي، والبناء الفطري للفرد، وصون الأخلاق العامة للمجتمع. والحجاب درع بالغ الأهمية تجاه النظرات الخائنة، والتأملات الماجنة، والأفكار الفاسدة، والمشاعر والعواطف المخادعة. وما يتعلق باللباس وماهيته فإن سعة الثياب تُعد أكثر أهمية من ألوانها وأشكالها، لأن النبي ﷺ قد حذر بأن مصير النساء اللائي يرتدين الثياب الرقيقة الضيقة التي تصف أعضاء الجسم هو نار جهنم.

ليس من الصعب في عصرنا الحالي إثبات مدى الأهمية البالغة التي يتمتع بها الحجاب لما نرى من تبرج فاحش لم يعد يلتزم بأدنى حدود الستر، تبرجٌ قد مزق كل مشاعر الحياء والخجل. إن النساء والرجال المسلمين في هذا العصر بأمسِّ الحاجة إلى الحجاب والستر وذلك من أجل حماية إيمانهم، والمحافظة على وقارهم، وحماية كرامتهم. وينبغي للمسلم ألا ينسى بأن الحجاب والستر من أهم الأعمال التي توصل الإنسان إلى رضا الله تعالى. وعلينا ألا نتوانى عن بيان كون الحجاب تكليفاً إلهية لزوجاتنا، وبناتنا، وأخواتنا، ولجميع نساء المؤمنين.

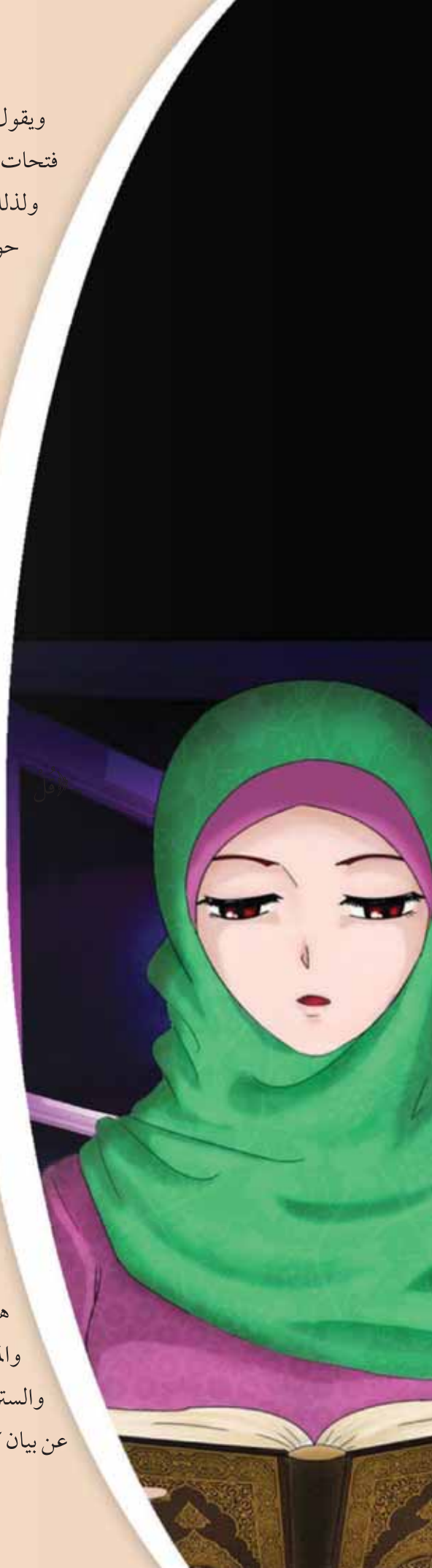

تزكية النفس في القرآن الكريم ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾

دوران أكيزر

من تجليات صفة القدرة الثابتة لله جل جلاله تقديرُ قدوم الإنسان إلى هذه الدنيا قبل أن يكون في رحم أمه، ثم ابتداء اكتسابه لشكله في الرحم، وتصوره بصورة الإنسان بعد خروجه إلى الحياة، ثم السير في هذه الحياة الدنيا بصورة إنسان، وكافة المراحل التي يمر بها حتى لحظة الموت. ثمة الكثير من الآيات القرآنية التي تخبرنا بهذه المراحل والأطوار التي يتقلب فيها الإنسان.

وثمة في كتاب الله سبحانه وتعالى آيتان تلخِّصان لنا هذه الحقيقة بصورة بليغة، إذ يقول الله تبارك وتعالى:

﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا. وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾

(نوح: ١٣-١٤)

لقد جاء الإنسان إلى هذه الدنيا مجهزاً ببعض الصفات التي أكرمه الله تعالى بها، وأهم سمة يتمتع بها الإنسان والتي تتعلق بكونه خاضعاً للامتحان في هذه الدنيا هي امتلاكه القدرة التي تمكنه من ارتكاب الذنوب والخطايا، وحفظ نفسه من ارتكابها في الوقت نفسه. ويبين الله تبارك وتعالى هذه الحال في القرآن الكريم بقوله:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا. فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾

(الشمس: ٧-٨)

وهذه سُنَّة الله سبحانه وتعالى في خلق الإنسان.

وكل فرد منا- نحن البشر- يعيش في حياته هذه الحقيقة التي أخبر عنها القرآن الكريم. ومن الحقائق التي ما ينبغي أن تغيب عن بالنا وتفكيرنا ولو للحظة واحدة حقيقةُ أن كل لحظات حياتنا خاضعة للتدوين في سجلات محفوظة، وأننا ذات يوم سوف نقف في المحكمة الإلهية بين يدي الحق سبحانه وتعالى ونُحاسب على هذه الحياة، فهذه الحقيقة ينبغي أن تكون قاعدتنا في الحياة. ويمكن أن نورد هنا بعض الآيات القرآنية المتعلقة بهذه الحقيقة، يقول الله تبارك وتعالى:

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ (الملك: ٢)

﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق: ١٨)

﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ (التكاثر: ٨)

إذاً؛ إن التذكر الدائم لهذه الحقيقة المشار إليها في الأعلى تتطلب حالاً من التحلي بالمسؤولية والوعي ومحاسبة النفس، وهذه الحال يُعبَّر عنها في القرآن الكريم بـ(التقوى) ولكي يبلغ الإنسان المسلم مرحلةَ التقوى، ويحافظ على هذا الشعور والوعي حياً متيقظاً دائماً، لا بد له من لوم نفسه وتأنيبها باستمرار. لأن الله سبحانه وتعالى يقسم بالنفس التي تلوم صاحبها قائلاً:

﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ (القيامة: ٢)

وقد سميت هذه العملية التي تتصف بالمشقة والصعوبة في الآيات القرآنية بـ(تزكية النفس)، وبيَّنت هذه الآيات أن الخلاص الحقيقي يكون بهذه التزكية. يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا. وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (الشمس: ٩-١٠)

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى. وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى. بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا. وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (الأعلى: ١٤-١٧)

نسأل ربنا سبحانه وتعالى أن يجعلنا جميعاً من عباده المفلحين المؤمنين بيوم الحساب، ومن الذين لا يفارقون هذه الدنيا إلا وقد نالوا رضاه!

آمين.

إذا أنت دعوت، يا صغيري
ستلمع نجوم جديدة في كبد السماء
سيتجدد الهلال إذا دعوت ليلاً
وإذا دعوت صباحاً
ستبتسم الشمس ابتسامة لم يُرَ لها مثيل
إذا أنت دعوت يا صغيري
ستدعو معك العصافير في سمائها والأسماك في بحارها والنمل في مساكنها
ستتفتح أزهار الحدائق بعبق جديد
وستتجمع البشائر في أعين أطفال آخرين
إذا أنت دعوت يا صغيري
سيتنزل النور على راحتيك ووجهك وقلبك
ستزهر براعم آمال جديدة في جميع المواسم
سيأتي العالم
وسيفرح نبينا ﷺ بوجهه الوضاء

حسبك الدعاء يا صغيري فدعائك الطاهر
أعرفُ
أن جميع العصافير والفراشات
وجميع الملائكة سترددد خلفه: آمين
إذا أنت دعوت يا صغيري
ستلمع نجوم جديدة في كبد السماء
سيبتسم الكون
وكلي ثقة بإذن الله بأن
ربي سيستجيب كل دعواتك
ربي سيستجيب كل دعواتك

أمل أوكيار

الدنيا

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال، قال رسول الله ﷺ:

– لا والله ما أخشى عليكم أيها الناس إلا ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا. فقال رجل:

– يا رسول الله أيأتي الخير بالشر؟ فقال له رسول الله ﷺ:

– إن الخير لا يأتي إلا بخير أَوَ خير هو، إن كل ما ينبت الربيع يقتل حَبَطًا أَوْ يُلِمُّ إلا آكلة الْخَضِرِ أكلت حتى امتلأت خاصرتاها استقبلت الشمس ثَلَطَتْ أو بالت ثم اجترت فعادت فأكلت.

وإن هذا المال خضر حلو ونعم صاحب المسلم هو لمن أخذه بحقه ووضعه في حقه فجعله في سبيل الله واليتامى والمساكين وابن السبيل، فمن يأخذ مالاً بحقه يبارك له فيه ومن يأخذ مالاً بغير حقه فمثله كمثل الذي يأكل ولا يشبع ويكون شهيداً عليه يوم القيامة.

عن عبد الله بن عمر ﷺ قال:

أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال:

"كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل."

وفي رواية ليث يقول:

– "إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك."

جاء في الخبر:

إن إبليس عليه اللعنة يرفع الدنيا كل يوم في يديه فيقول:

– من يشتري ما يضره ولا ينفعه ويهمه ولا يسره؟ فيقول أصحاب الدنيا:

– نحن. فيقول:

– لا تعجلوا فإنها معيوبة. فيقولون:

– لا بأس بها. فيقول:

– ثمنها ليس بدراهم ولا دنانير، إنما ثمنها نصيبكم من الجنة وإني اشتريتها بأربعة أشياء: بلعنة الله وغضبه وعذابه وقطيعته وبعت الجنة بها. فيقولون:

– يجوز لنا ذلك. فيقول:

– أريد أن تربحوني على ذلك وهو بأن توطنوا قلوبكم على أن لا تدعوها أبداً فيقولون "نعم" فيأخذونها فيقول الشيطان:

– بئست التجارة. (تفسير سورة الفاتحة، محمود سامي رمضان أوغلو)

عندما تفرغ لطائف قلب سالك الطريقة من الأغيار يصبح قلبه ـ بلا شك ـ مسكناً للمحبة وداراً للمعرفة.

من يطبق أسس الدين في حياته يرتقي مرتبة تلو الأخرى ويمتلئ قلبه بنور الحكمة.

كان أبا بكر الصديق ﷺ يدعو إلى الله قائلاً:

"اللهم ابسط لي الدنيا وزهدني فيها، ولا تزوها عني وترغبني فيها."

(صادق دانا، من محاضرات "ألتن أولوك" ـ ١، ص. ٢١٢-٢١٤)

فاتورة الاغتراب

علي رضا تمل

إن أساس الصراعات والنزاعات والاستقطابات الحاصلة في بلاد المسلمين عامة إنما هو الاختلاف الفكري. علينا أولاً تحليل الأسباب الاقتصادية والنفسية والاجتماعية التي تعمل على تشكيل هذه الاختلاف الفكري. إذ لا يمكن أن يكون الدواء ناجعاً وفعالاً دون التشخيص الدقيق للداء.

تبدأ مغامرة الاغتراب لدينا مع بداية تعاظم قوة الثورة الصناعية لدى الغرب، ووقوعنا في حالة من الضعف والبقاء خارج المنافسة. وكما قال المؤرخ وعالم الاجتماع الكبير ابن خلدون: "إن الأمم المغلوبة تقلد الأمم الغالبة في نمط تفكيرها، وسلوكها، وعاداتها." ويرى جميل مريج أن هذه الحالة تشبه حالة شرب العبد للدواء الذي يشربه سيده، لأن سيده يشربه. بينما في واقع الأمر مرض العبد وبنيته الجسدية ليس كمرض السيد وبنيته الجسدية.

إن القوة لا تقبل النقاش والجدال، إذ إنها تفرض نفسها في كل حال. لقد اضطررنا في أوائل عصر التخلف والانحطاط إلى التعرف إلى وجود الغرب وقوته، وللقبول بهذه القوة والرضوخ لها، وشيئاً فشيئاً تحول هذا التقبل إلى حالة معقدة من الإعجاب والدونية. وفي نهاية المطاف ظهرت حالة التغريب أو الاغتراب التي طالت القيم المكونة للهوية والشخصية الذاتية. ونتيجة لهذا المنطق المقلِّد، ضاعف مصلحونا جهودهم ووجهوها كلها نحو تلقف أعراف الغرب

إن روابط المجتمع من الميراث الفكري والمعنوي الذي نتلقاه عن الأجداد، هذا الميراث الذي يتشكل من خلال الحياة المعاشة إلى جانب ما يأتي من الماضي. ومن حيث النتيجة فإن الاحترام الذي يتم إبداؤه تجاه الماضي، والتقاليد، والأعراف، والأخلاق يُعد من واجباتنا الاجتماعية الأساسية.ومن حيث النتيجة فإن الاحترام الذي يتم إبداؤه تجاه الماضي، والتقاليد، والأعراف، والأخلاق يُعد من واجباتنا الاجتماعية الأساسية.

وعاداتهم، وتعلم لغاتهم وآدابهم. ودخلوا في حركة ترجمة غريبة اقتصرت فقط على ميادين الشعر والقصة والرواية.

ولم يفكروا أبداً بالغوص في مجال التقانة التي أكسبت الغرب قوتها وتفوقها. وقد برروا عملهم بقولهم أنه يجب أولاً تحقيق (التربية الفكرية). وكانت غاياتهم ترمي إلى تشكيل طليعة متبنية ومتقبلة لنمط حياة الغرب، وهذه الطليعة سوف تنهض بمهمة توجيه الشعب نحو الغرب، وتقوم بدور المحرك في القطار المسيِّر لجهة الغرب.

إن محاولة تشرب قيم الغرب التي تشبه ديكور مسرحية بسيطة وساذجة دون تأمين أرضية علمية وفكرية رصينة أدخلتنا في بداية مرحلة تميزت بفقدان الهوية، إذ كما أنها لم تنجح في نقلنا إلى الحالة الغربية بالمعنى الحقيقي للكلمة، فإنها كذلك أبعدتنا عن خصوصياتنا. لقد كان هذا الأمر نوعاً من الانتحار المعنوي الذي يصفه المفكر الكبير محمد إقبال الذي يعرف الغرب أكثر من الغربيين أنفسهم بقوله:

"ما أتعس تلك الأمة التي تفدي نفسها لأفكار الآخرين وآرائهم وتوجهاتهم. إن عملها هذا تهديم للذات وإعمار للغير. إنها غافلة عن نفسها وعن شخصيتها، وروحها في جسدها تشبه الميت داخل قبره، ودينها لتنمية الوفاء للأجنبي أي بناء للكنيسة بأحجار الكعبة. إن الذي ولد في الكعبة ثم غادر وأصبح مريداً للكنيسة يلطخ عرضنا وشرفنا. وا أسفاه على أمة اقتلعت قلبها من بين جنباتها ثم علقته بغير الله. هل ماتت الشخصية والغيرة في كنف أمة حتى تتحول أمة عظيمة مثل الجبل الشاهق إلى بقايا قشور تذروها الرياح! لقد طفت في بلاد العجم والعرب فلم أعثر فيها على المصطفى، وإنما وجدت الكثير من أبي لهب. إن المتنور الذي يجهل شخصيته، ويشيد بالغرب ما هو إلا متسول لرغيف الشعير من يد ذاك الغربي، وقد سيطر على قلبه ظلام دامس. لأن المدرسة لم تترك في قلبه وجد الدين وحماسه. لقد أذابته نار الغربيين وأفرغته في قالب آخر. أصبحتَ عبداً خادماً للغرب، وأنا لا ألوم الغرب ولكن ألومك."

إن جهود تحويل وجهتنا وقبلتنا عن مكة إلى باريس تبدأ مع بداية المنظمات، يقول جميل مريج:

جميع المثقفين الأتراك أو المتنورون ابتداءً من حركات الشباب العثمانيين ووصولاً إلى الشباب الاشتراكيين مصابون بداء الخيانة. فالمثقف في عصر الازدهار للامبراطورية العثمانية كان فرداً من أفراد المجتمع. يشاركه مسرَّاته، وأفراحه، وأتراحه، وآلامه، ومقدساته... فهو القاضي، والمفتي، والكاتب... إلخ. كان يصلي في نفس المسجد الذي يصلي فيه الآخرون، ويجلس ويرتاح في المقاهي ذاتها، ويأكل من المائدة

ذاتها. فليس له امتياز ولا هو نفسه يسعى للحصول على امتيازات. إلا أن الوضع قد اختلف مع ظهور التنظيمات، فقد أصبح المثقف مثقفاً بقدر ما ينجح في اقتلاع نفسه من ماضيه، وينسلخ من تاريخه، ومثقفاً بقدر ما يكون ممثلاً للغرب، ويتم تبنيه من الغرب بقدر ما ينجح في تغيير نفسه وما حوله، أي بقدر ما ينجح في الخيانة. فأصبح الباب العالي اعتباراً من رشيد باشا ممثلاً لأوروبا. إذ إنه عبارة عن جماعة نهب وسلب، وليس له أدنى علاقة أو صلة بالشعب. لقد رُبِّيَ بيروقراطيونا ومثقفونا ونشؤوا من خلال الجنة الزائفة التي تشبه (جنة حسن الصباح) التي كانت عبارة عن ملاهي ليلية ومراقص ومهرجانات للمتعة والشهوة، ففسدوا وسقطوا في الهاوية. وقد تعلقوا بالماضي، ولم يكن هذا الأمر تعصباً أحمقاً، وإنما دفاع طبيعي عن النفس، إذ لجؤوا إلى ماضيهم، وإلى تقاليدهم وأعرافهم ليحموا أنفسهم أمام العاصفة الشديدة التي هبت عليهم من الغرب، فهو مصرف للحفاظ على الوجود. إنهم أدركوا وعلموا بخيانة المثقفين، فخافوا وفزعوا، ووجدوا أن الفرصة الوحيدة المتاحة أمامهم للحفاظ على وجودهم هو الالتجاء إلى الماضي، وعدم الصعود إلى القطار الذي يحملهم إلى الغرب. لأنهم إن صعدوا إليها سوف يبتعدون عن ذواتهم وتاريخهم وقيمهم. المثقفون يتحدثون بلغة أخرى مغايرة، ينفرون ويشمئزون من الشعب، ويستخدمون قوتهم ونفوذهم في سبيل تحويل الشعب الجاهل – كما يدعون – نحو المدنيَّة حتى ولو بالقوة والقهر.

إنهم يتصرفون ويتحركون يمنة وشمالاً وكأنهم شرطيو الغرب، أو ولاة على ولاية تابعة للغرب. هذا هو حال المثقفين أو المتنورين، بينما الأمر الصائب كما يقول سعيد حليم باشا: ينبغي أن يعلم كل شخص يحاول تحويل مجتمع ما إلى أمة أن هذا التحويل مرتبط بتوحيد الناس حول الغاية ذاتها التي يهدفون إليها وذلك من خلال الأحاسيس والعواطف المشتركة للأفراد، والعدالة، وبالأفكار والمعتقدات المتجانسة والمتلائمة. ويشترط القضاء على كل ما يتيح المجال أمام فقدان هذه الوحدة وضياعها، والإدراك العميق بأن هذا الفقدان سوف يكون سبباً لتفتت المجتمع وانهياره.

ومقابل هؤلاء المثقفين التنويريين الذين يؤمنون بضرورة الانسلاخ عن الهوية الوطنية والدينية (العمالة المتمدنة)، والذين يغرِّبون دولتهم وأمتهم، هناك الكثير من المثقفين والمفكرين الغربيين المنصفين الذين يحذروننا من التقليد الأعمى البعيد عن الوعي للغرب، ويقدمون لنا النصائح المخلصة والصادقة. ومن هؤلاء السياسي الأوسترالي ميتريتش (١٧٧٣ – ١٨٥٩) الذي قدم هذه التوصية الصادقة:

"إن الدولة العلية تضعف يوماً بعد يوم. فلمَ يجب إخفاء أن محاولة التغريب تتربع على رأس قائمة الأسباب التي أوقعتها في هذه الحالة. إن هذه الذهنية التي وضع أسسها سليم الثالث أوصلها محمود الثاني إلى مرحلتها الأخيرة بسبب الجهالة العميقة وخياله اللامحدود. إن توصيتنا للباب العالي هي: شكلوا حكومتكم وفقاً لمبدأ احترام قوانينكم الدينية، وسيروا مع الزمن، وانتبهوا إلى احتياجات العصر ومتطلباته، ونظموا إداراتكم، وقوموا بالإصلاحات. ولكن لا تهدموا المؤسسات القديمة لتقيموا مكانها مؤسسات جديدة لا تسير في طاعتكم. إن أصل القوانين الغربية هي المسيحية. فابقوا أتراكاً، إذ إن الظروف والشروط الأوروبية مختلفة عن تلك التركية. فالقوانين الأساسية الأوروبية عكس القوانين والأعراف ومبادئ العدالة

السائدة في الشرق. تجنبوا الإصلاحات المتعلقة بالمستوردات، إذ إن مثل هذه الإصلاحات لا تجلب إلى بلاد المسلمين إلا الدمار والويلات."

إن الذين يمنعون من تلاحم الدولة والأمة منذ زمن طويل، والذين ينظرون إلى الأمة والشعب من علو، ويرون أنفسهم أصحاب البلاد الحقيقيين، ويفرضون إراداتهم ورغباتهم على الشعب بالقوة والامتيازات التي اغتصبوها، والمتغربين تجاه قيمهم الوطنية والمعنوية والروحية أكثر من الغربيين أنفسهم؛ إنما هم الطغاة البغاة. فهؤلاء هم العملاء الباطنيون الذين يضغطون على الداخل من خلال القوة والسلطة التي يستمدونها من الخارج. وهذه الفئة من الرعاع الذين فسدت هويتهم وشخصيتهم تكتسبُ السيادة في بلادها بنسبة تملقها وتحولها إلى خادم وعبد مطيع لسيدها الغربي.

وهذه الأقلية الدجالة والمنظمة التي تضع مصالحها الشخصية في مقدمة أولوياتها تضغط على مصالح الشعب من خلال صيحات وشعارات العصرنة والحداثة، والمدنية، والثورية، والعلمانية، وبذلك فإنها تعمل على تأمين استمرار أنظمة الوصاية. ولأن هؤلاء قد نظروا فرأوا أن العامل الرئيس الذي يحقق وحدتنا، ويجمعنا في بوتقة واحدة، ويجعلنا أمة إنما هو عودة الإسلام، فقد اتخذوا القيم الدينية هدفاً لهم للعبث بها وتمزيقها. ففتحوا باب الفتنة الطائفية، والقومية، والمناطقية بإضعاف الرابطة الدينية التي توحد العرب، والترك، والكرد، والبوشناق، والشركس، والأبخاز وغيرها من الأعراق والقوميات تحت راية واحدة، وأصبحت هذه الفتنة التي أثارها هؤلاء سبباً للتفرقة والتشتت. عندما تم اعتماد القومية مكان الأمة بدأت مرحلة التفرق والتمزق. والسبيل الوحيد لإعادة التجمع والتوحد والالتقاء في بوتقة واحدة إنما هو تبني القيم المشتركة من جديد.

نحمد المولى عز وجل على أن أمتنا التي حافظت على هويتها الوطنية والمعنوية بالرغم من كل شيءٍ، واحتضنت ميراثها التاريخي لتحميه من الأقلية الطاغية تعمل رويداً رويداً بالطرق الديموقراطية وبمقاومة تتسم بالصبر والثبات تجاه هذه الطغمة الطاغية، وتعمل على استعادة حقوقها المغتصبة، وتؤدي مهمتها التاريخية خطوة خطوة. وإن المثيرين للضوضاء والصخب تجاه الحقوق الطبيعية والمشروعة للأمة، يعيشون حالة من التخبط والقلق على فقدان امتيازاتهم ووصايتهم. وحرب الامتيازات والمصالح تقف خلف الصراعات، والنزاعات، وحالة الاستقطاب القائمة في دولتنا وفي العالم الإسلامي.

إن الذين لا يُدخِلون بنات الأمة إلى مدارس الأمة، والذين أعلنوا الحرب على الحجاب، واستهدفوا كل شيءٍ يشير إلى الإسلام، والذين يعملون على سرقة الشعب من خلال الاقتصاد الثلاثي المعتمد على ثلاثية (البورصة والفائدة والدولار) مجبرون على رؤية عدم استمرار العجلة التي أداروها بالدوران إلى ما لانهاية. إذ لا يمكن أن تتسم أي حركة غير منسجمة مع روح الشعب ووجدانه بالديمومة والاستمرار.

وكل شخص سوف يعرف حده، ولن يجري خلف المناصب والامتيازات الباطلة وغير المستحقة، وسوف ينظر إلى نفسه كفرد متواضع من أفراد هذه الأمة، وهكذا ستنتهي الخصومات والصراعات ويعود للدولة هدوءها وسلمها، ويُضاء المستقبل للأجيال القادمة.

"من المحال دوام الحال، فإما الجديد من الحال أو الاضمحلال."

الدكتور: سليمان درِن

الأهداف والوسائل

يحظى الساعون إلى خدمة الإسلام وتجسيد نموذج المسلم الصالح بمحبة المجتمع واحترامه على الدوام ، فترى أحباب القيم السامية حولهم بعد مدة قصيرة. غير أن جميع الحركات والجماعات الدينية– مهما عظمت– ليست معصومة عن الخطأ؛ لذلك عليها أن تعيد النظر في مناهجها.

ويرى الإمام الغزالي أن الناس يتصرفون أحياناً بحسن نية، لكن هذه النية الحسنة قد تتحول فيما بعد إلى نية سيئة وبالعكس. فإن الناس قد يبدؤون بعمل شيء ما بنية سيئة لتنقلب هذه النية فيما بعد إلى نية حسنة، وليس هناك ما يضمن استمرارية النية الحسنة. وقد أبدى الصوفيون على مدى التاريخ اهتماماً بالغاً بهذا الأمر. وكان الأشخاص الذين ابتعدوا عن القرآن والسنة عرضة لانتقاد المقرَّبين منهم أولاً قبل أي أحد آخر. وللإمام الرباني السرهندي مكانة خاصة في هذا الشأن، فهو لم يتوانى لحظة واحدة عن إبراز أغلاط الصوفيين وأخطائهم في المناهج التي اتبعوها.

أحد تلك الأخطاء تحويلهم مفهوم "مشاهدة جمال الخالق في جمال المخلوقات." إلى منهج. وقد سمى بعض الصوفيين ذلك بـ "الانتقال من حب ليلى إلى حب المولى." قاصدين بذلك انتقال الإنسان من المجاز إلى الحقيقة، انطلاقاً من عبارة "المجاز جسر الحقيقة". ويتطرق الإمام الرباني في كتابه "مكتوبات" [الجزء٣ الرسالة ٦٦] إلى هذه المسألة بقوله:

"فليكن معلوماً أن المجاز ظلُّ الحقيقة، وفي الظل هناك دائماً طريق عظيم يذهب إلى الأصل. يقول بعض الحكماء: (من عرف نفسه، فقد عرف ربه." وهم قالوا ذلك بهذا المعنى، لأن معرفة الظل تقود الإنسان إلى معرفة الحقيقة، فالظل قائم على صورة الأصل، لذا فإنه سبب في الكشف عن الأصل".

يرى الإمام أن الخطر يكمن في أن الصوفي قد يتوقف أحياناً عند المجاز؛ أي إنه يتخلى عن الهدف ويتعلق بالوسيلة، فجمال المجاز قد يأخذ بألباب السالك، في حين أن المجاز يجب أن يكون مجرد سلم يصل به إلى الحق، لكن المجاز قد يقطع أحياناً الطريق المؤدي إليه.

يقول الإمام الرباني مستلهماً من أحد الأحاديث الشريفة:

"إن الإنسان تحق له النظرة الأولى فقط، أما النظرة الثانية فقد تكون سبباً في ارتكابه أخطاء منهجية"

ويضيف:

"لكن يجب عدم إغفال أن كون المجاز جسراً إلى الحقيقة يتطلب عدم الافتتان به وعدم النظر إليه مرة ثانية. إن الجسر المؤدي إلى الحقيقة هو النظرة الأولى التي قال عنها نبينا عليه الصلاة والسلام: (إن لك النظرة الأولى) وبقوله: (لك) أخبر النبي عليه الصلاة والسلام أن هذه السعادة الكبرى سوف تتحقق، غير أن الخطر الأكبر هنا هو ـ والعياذ بالله ـ أن يُبتلى سالك درب الحقيقة بالمجاز، وإذا ما وصل الأمر إلى النظرة الثانية حينها لن يكون المجاز جسراً يؤدي إلى الحقيقة، بل شيطاناً يعيق درب الوصول إليها. بل وحتى قد يكون هذا المجاز صنماً يدعو إلى عبادته، وفخاً يُضل عن جادة الحق. لهذا قال لنا النبي عليه الصلاة والسلام مبيِّناً أضرار النظرة الثانية: (وليست لك الآخرة). وهل يمكن أن يكون هناك شيء أكثر ضرراً مما يبعد عن الحق سبحانه وتعالى ويشغل المرء بالباطل؟".

ويقول الإمام في تفسيره للآية الكريمة

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾

(النور: ٣٠)

التي نزلت في غير المحارم:

"إن جميع النظرات والعلاقات التي تبعد الإنسان عن الله قد حُرمت بهذه الآية".

والمثير في الأمر أن بعض الصوفيين الجهلة قد فهموا هذه الآية بمعنى مغاير تماماً لمعناها الأصلي، وانجرفوا وراء ولعهم في مشاهدة جمال الحق في وجوه البشر. في حين أن ذلك وكما ورد في الحديث الشريف محرَّم، وهو زنا العين.

لم يفهم بعض الصوفيين البسطاء وضعاف العقول معنى هذه العبارة، لذا وقعوا في الخطأ واختلط عليهم الأمر، فقد تعلقوا بالصور الجميلة وخدعوا بجمالها، وهم يرغبون في أن تكون وسيلة إلى الوصال وسلماً إلى هذا المقصد. هؤلاء الجهلة يعتقدون أن جمال الصور هو جمال الحق سبحانه، ويظنون أن الاهتمام بها يعني الاهتمام بالحق سبحانه. كما يظنون أن مشاهدتهم تعني مشاهدة الحق سبحانه.

ويرى الإمام أن هذا النوع من المفاهيم خاطئ تماماً وخارج عن نهج أهل السنة، وأن الاعتقاد بكون جمال الله تعالى وجمال المخلوقات أمر واحد إنما هو ذنب عظيم، فجماله تعالى يفوق كل التصورات. ويحاول الإمام شرح هذا الأمر من خلال ما حصل مع سيدنا موسى عليه السلام، فيقول:

لقد احترق جبل الطور وتفتت إلى أجزاء لتجلي الحق سبحانه عليه مرة واحدة وسقط موسى عليه السلام مغشياً عليه مع أنه صاحب مقام رفيع، وهذا ثابت في النص القرآني. ويزعم الصوفيون الذين تحدثنا عنهم بعقولهم العقيمة أن الحق سبحانه وتعالى يمكن له أن يتجلى دوماً في المخلوقات دون حجاب. إن الله تعالى يسمو بكثير على ما يقوله هؤلاء الظلمة، ماذا تظن هذه الطائفة المعيبة بالحق سبحانه؟ وكيف تتصور

حسنه وجماله؟ ألم يسمعوا أنه إذا ما سقطت ـ وهذا محال ـ شعرة واحدة من شعرات حوريات الجنة اللاتي خلقهن الحق سبحانه إلى الدنيا، فإن الدنيا لن تُظلم بعد ذلك قط، ولن يكون هناك ليل أبداً لنور تلك الشعرة وبريقها؟!

لقد سلط الإمام الرباني في رسالته هذه الضوءَ على أحد أخطاء الصوفيين، وتناوله بالتفصيل، وانتقد في كتابه "المكتوبات" كثيراً من الأخطاء الأخرى كهذا الخطأ وبيَّن الصواب. ولم يتوانى الإمام حتى عن انتقاد الصوفيين الذين قضوا سنين طويلة في تحصيل العلوم الصوفية. فكل زمرة يمكن أن يخرج منها أفراد يفهمون الآيات والحديث فهماً خاطئاً ويحاولون بسبب ذلك بلوغ أهدافهم بأساليب باطلة، ولا تجوز طاعة العبد للعبد في مناخ تُنتهك فيه أحكام القرآن والسنة الواضحة.

لهذا على كل فئة رؤية أخطائها في ضوء القرآن والسنة والإجماع، ويجب على الناس محاسبة أنفسهم والتوبة عن كل الأفعال والمناهج المتبعة باسم الإسلام والبعيدة كل البعد عن روح الدين لا سيما في هذه الأيام الصعبة التي نعيشها. علينا ألا ننسى أن أحداً من الصوفيين أو العلماء أو الصالحين ليس معصوماً عن الخطأ باستثناء النبي ﷺ. وقد عرفنا في تاريخ الإسلام الكثير من الحركات التي انطلقت بنيَّةٍ حسنة لكنها حادت بعد ذلك عن هدفها، علينا ألا ننسى أن الأمر الأهم بالنسبة إلى الشيطان ليس تضليل الغافلين والفاسقين بل تضليل العلماء والعارفين، والنهج الذي يلجأ إليه الشيطان غالباً في هذا الأمر هو خلط الغايات والوسائل وقيادة الجماعات المتطرفة إلى التحرك بتعصب. اللهم أبعِدنا عن جميع أشكال التطرف. ولننهي حديثنا بدعاء الإمام: السلام على من اتبع الهدى وعلى من استمسك بدرب محمد المصطفى ﷺ.

غَزَلٌ بِالغَزَالة

أنا من أسميته بالعاشق، قلت يا غزالة
شردتني في صحارى الهموم، قلت يا غزالة
انظري ها هو يبكي مرة أخرى مطأطئ الرأس خلفك
حطمتي قلبه كل يوم ألف مرة، قلت يا غزالة
على من سيعرض المسكين الشقي حاله؟
وقفتي غير مبالية بحاله، قلت يا غزالة
منذ عهد "ألستُ؟" وهو يقف على عتبة حبك
رأيتني بلا حول ولا قوة، قلت يا غزالة
رميته بسهم الفراق وأحرقت فؤاده
ونفيته إلى بلاد المحن، قلت يا غزالة
ألا يكون قد ملك ألف عالم
من تعطفت وسألته عن أحواله؟
وهو يبكي بلا أمل وجد ينبوع الحياة
ضمدت جرحه باسمك، قلت يا غزالة
لقد كان أحمد أيضاً غزالاً على الدرب
وتكرمت أنت ورميته بسهم الحب،
قلت يا غزالة

أحمد أفنين

كيف تكسب حسنات يومية

١. اصطحب معك احد أصدقائك أو أقربائك إلى المسجد.
٢. اجعل لك ورداً من الذكر لطريق العمل ذهاباً وعودة .
٣. اجتهد أن تدعو كل يوم على الأقل الى ثلاثة أمور من الخير : كدعوة لصلاة أو صدقة أو معروف .
٤. تذكر وأنت في عملك الوظيفي انك في عبادة إذا أخلصت النية.
٥. حدث نفسك دائماً بفعل الحسنات واحرص على العزم بفعلها ففي الحديث الشريف (فمن هم بحسنة فلم يعملها كتب الله عنده حسنة كاملة) متفق عليه .
٦. هل تريد مشروع إطالة العمر والبركة فيه ؟ إذا فاحرص على صلة أرحامك وزيارة أقاربك .
٧. سارع بالتبكير إلى أداء الصلاة الخمس في المسجد مستشعرا ما تقول في ذهابك وإيابك .
٨. احرص على البقاء في المسجد بعد الصلوات ولو عشر دقائق خاصة بعد الفجر والعصر كي تكون من الذين يسبحون ربهم بالغداة والعشي يردون وجه .
٩. عود نفسك على بعض العبارات الايجابية مع كتابتها في ورقة ثم ممارستها في واقعك والكلمة الطيبة صدقة .
١٠. قراءة جزء من القرآن يومياً واكسب بعد ذلك في كل حرف ١٠ حسنات .
١١. أكثر من قول (لا اله إلا الله)فهي أفضل الذكر ومفتاح الجنة .
١٢. اكسب ملايين الحسنات بحث ابنك على فعل الحسنات .
١٣. قل أستغفر الله وأتوب إليه ١٠٠مرة يوميا واكسب تفريج الهم وزيادة الرزق .
١٤. استحضر وأنت خارج من بيتك أن تجعل من يومك كله سلسة من صنائع المعروف .
١٥. توضا قبل نومك خلال نومك تكسب حسنات.
١٦. رطب لسانك بذكر الله يومياً.

جعفر درموش

يوميات القرآن الكريم

الصورة الاجتماعية لشخصية المسلم

يقول الله تعالى في سورة آل عمران:

﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ. الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ واللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ. وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ. أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ (آل عمران ١٣٣-١٣٦)

عندما نجلس لتلاوة القرآن الكريم، نشعر بدفء يغمر قلوبنا مجدداً ونحن نقرأ ما يرد في تلك الآيات المباركة، فهي تنير دربنا وترشدنا إلى كيفية نيل مغفرة ربنا الرحيم اللامتناهية، وكيف نجري مسارعين إلى جنة عرضها السماوات والأرض. إنها ترسم لنا الصورة الخارجية لشخصية المسلم، وتقدم إلينا فرصة تنظيم علاقاتنا الإنسانية وتفحصها من جديد. وتشير إلى ضرورة الاتجاه نحو تلك الفضائل بل وحتى الجري لبلوغها لقضاء لحظات العمر كما ينبغي.

إن المؤمن يعيش كل لحظة من لحظات حياته واعياً أنه سيُحاسَب على أفعاله، ويريد الفوز بالجنة التي أعدت للمتقين؛ لهذا يرغب في الأعمال التي تكون وسيلة للمغفرة الإلهية، ويراعي التقوى في كل أعماله ما خفي منها وما عُلم،ويتجنب الاقتراب من أي عمل قد يستوجب الغضب الإلهي لاحترامه ومحبته العميقتين لله جل جلاله، ويتجه دوماً إلى الأعمال التي يحبها الله جل جلاله ويرضى عنها.

فالمؤمن ينفق دوماً ويحاول أن يكون اليد التي تعطي في حدود قدرته في السراء والضراء، وهو يتذكر دائماً الكرم العظيم لرسول الله عليه الصلاة والسلام ولا ينسى أن الكلمة الطيبة والتبسم في وجه أخيه المسلم صدقة.

يمتص غضبه النابع من نفسه ويوجهه إلى نفسه. وبدل أن يساوره الغضب تجاه الآخرين لأسباب شخصية، يضع عيوبه نصب عينيه ويطلب من نفسه إصلاحها.

لهذا لا يحقد على أحد ولا يسعى وراء الانتقام من أحد، ويحاول نزع الغضب منه، وتحويله إلى محبة إن استطاع، والمؤمن حلو المعشر مع الجميع يبذل الجهد ليكون من المؤمنين الكاملين في هذا الشأن.

إنه يعفو عن الآخرين ولا يحاول تسجيل أخطائهم بل يعفو عنها بسهولة، ويطلب من الآخرين مسامحته ويسامحهم. إن حلاوة معشره النابعة من عدم غضبه أو حقده تُتوج بالعفو، ويصبح غطاءً يستر الأخطاء والعيوب ويعرف كيف يستخلص منها العبر. ويؤمن أن العافين عن الناس هم الذين سينهضون عندما سينادي منادي يوم القيامة ويقول:

أين أولئك الذين سيكافئهم الله جل جلاله بنفسه؟

وهو يجتهد ليكون من المحسنين، ويعرف أن الإحسان يعني عمل الخير والإعطاء دون مقابل، ولا يغيب عن ذهنه أبداً أن العطاء دون مقابل كان أحد الأخلاق التي تحلى بها النبي عليه الصلاة والسلام.

وعندما يرتكب سوءاً أو يظلم نفسه يتذكر الله جل جلاله على الفور ويستغفره ويتوب إليه؛ أي إنه يراقب نفسه باستمرار ويعود عن خطئه ما إن يدركه، وإذا ما كان لديه خصلة التعلق بالعباد يصحح نفسه، كما أنه يتقبل المقترحات والنقد البناء ولا يصر على خطئه ويطلب الصفح عن أخطائه مدركا أن الله غافر الذنب لا سواه.

وتبشرنا تلك الآيات العطرة بأن الذين يتحلون بالفضائل الأخلاقية ستكون مكافأتهم عند الله جل جلاله العفو والمغفرة وسيكونون في جنات تجري من تحتها الأنهار... وإذا ما تمعنا في الآيات نرى أنها تشير إلى ثلاثة أنواع في الإحسان للآخرين هي: التقوى والإنفاق والعفو. وهذه الخصال الثلاث مشتركة لدى المحسنين للآخرين لذا فإن مكافأتهم توجزها هذه الآية الكريمة:

﴿وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

ومحبة الله تعالى للعبد وجعله في زمرة المحسنين إنما هما أعظم درجة من درجات الثواب.

يقول ثابت البناني: "إن إبليس عليه اللعنة قد بكى عند نزول هذه الآية" لهذا فإننا نريد التأكيد على أهميتها... إذن على أولي الألباب العمل بهذه الآية التي أبكت إبليس، والسعي إلى القيام بكل الخيرات دون إضاعة الوقت والتسابق في الإحسان. وعلينا ألا ننسى أن تأجيل فعل الخير سبب مصائب كثيرة.

لقد خلق الله تعالى الإنسان ومنحه القدرة على العمل لدخول الجنة والارتقاء في درجاتها أو دخول جهنم والنزول إلى دركاتها. ثم أرسل إليه الأنبياء لتبشيره بالجنة وتحذيره من جهنم.

وكما ورد في كتاب (روح البيان) فإن بلوغ الجنة يمكن حصوله بعد ترك ما في السماوات والأرض. فبعد التخلي عن الأشياء التي يمكن إدراكها بالحواس الخمس ولمسها باليد ورؤيتها بالعين، يمكن تحقق التقوى وهي "تزكية" النفس من الخصال السيئة، وخير دليل على ذلك قوله تعالى إن الجنة:

﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

هل نحن مستعدون للتحلي بالفضائل الواردة في الآيات الكريمة لنجعل حياتنا "مساراً إلى الجنة"؟ وهل نحن مستعدون لتتويج العفو بالصبر، والإنفاق بالتواضع، ولإلباس شخصية المسلم لباس التقوى ونقلها إلى حياتنا؟ ما رأيكم؟

نقطة السويداء

أدهم جبجي أوغلو

نقطة السويداء كما يراها الإمام الرباني

ذكرنا سابقاً أن الإمام الرباني نقل عن ابن برجان قوله: "إن هناك نقطتان سوداوتان تطل إحداهما على الإيمان والأخرى على العلم". وهاتان النقطتان كما قال الحلاج إنما هما البوابتان المنفتحتان على العالَم السامي وعلى عالَم الروحانيات، المنفتحتان على الموت وعلى ما وراءه؛ أي الآخرة.

يتحدث الإمام الرباني عن الانفتاح على عالَم الروحانيات عند تلخيصه فناء اللطائف وارتقاءها، فيقول:

١. يفقد السالك أولاً اهتمامه بالمخلوق ومن ثم معرفته به مع ازدياد عشقه لله، وهكذا يصبح السالك/ الدرويش فانياً في جسده؛ أي في حال من "فناء الجسد".

٢. ثم يبدأ السالك بعد فناء الجسد بنسيان روحه وأطوارها وأسرارها ونسيان الخافي والأخفى، وهو بذلك ينسى روحه وذاته بكل طبقاتها ويصبح فانياً. ولا يبقى لديه إلا شهودية الله وتسمى هذه الحال بـ "الفناء الروحي".

٣. وعندما يرتقي القلب بهذا الشكل إلى مقام الروح، تصاب الروح بحال من النسيان، ويرتقي القلب إلى الروح ويصبح تابعاً لها ويعيش حالاً من النسيان، وهنا يتجلى النسيان بالتحول إلى غيب، وتسمى حال النسيان والغيب هذه التي يعيشها القلب بـ "فناء القلب".

٤. وعندما يرتقي القلب إلى مقام الروح، ترتقي النفس إلى مقام القلب وتتزكى، فتصبح هي الأخرى فانية، وهو ما يسمى بـ "فناء النفس".

٥. هكذا يستمر فناء اللطائف وفي نهاية المطاف تصل جميعها إلى مقام الأخفى، وتحلق نحو عالم الأقداس بصورة وحدانية.

٦. وفي النهاية تترك هذه الروح بدنها الشكلي (اللطائف القلبية) خالياً.

٧. وهذا ما يقال عنه: موت الإنسان قبل موته. وتحقق اللطائف الست (القلب والروح والسر والخافي والأخفى والنفس) موتها قبل موتها بتركها لقالب البدن.

غير أنه لا يشترط اتحاد جميع اللطائف بالأخفى، وليست هناك ضمانة لذلك. ويواصل معظم السالكين رحلتهم مع واحدة أو مع بعض فقط من هذه اللطائف. والقادرون على إذابة جميع لطائفهم في لطيفة واحدة (هيئة الوحداني) ومواصلة سلوك الدرب إنما هم أصحاب المشرب المحمَّدي.

ومن اللافت للانتباه أن الإمام الرباني لدى حديثه عن مراحل رحلة الرجوع إلى الأصل الذي جاءت منه الروح، يستخدم معاني متعلقة بالموت مثلالفناء، والاختفاء، والنسيان.

إن نقاط اللطائف تعبر عن الارتقاء المتداخل وعن الثقب الأسود والموت وهو واحد دائماً. ويقال لترك الروح للجسد: الموت.

وفي أذكار نقاط اللطائف تتحقق ظاهرة الموت (الموت قبل الموت) هذه بشكل ارتقائي. ويتم كل ذلك في إطار نظام معين وعلى مراحل. ويُطلق على التصوف في هذه الصورة اسم فن الموت.

يمكن شرح هذا الأمر بلغة العرفان في الصوفية كما يلي:

يصور الإمام الرباني التعبير عن اللطائف كرمز للنقطة في الرحلة المعنوية للروح، ويقول:

بالنسبة إلى السالكين الذين ليسوا من أصحاب المشرب المحمدي فإما أن يُفتح ثقب من مقام القلب يرتقون منه إلى الصفات الفعلية، وإما أن يُفتح ثقب من مقام الروح ويتم الوصول منه إلى الصفات الذاتية، وكذلك الأمر بالنسبة إلى اللطائف الأخرى.

وقد شوهِدت هذه الحال سابقاً صفتين متداخلتين لدى ابن برجان الذي عبَّر عنهما بثقوب/ نقاط القلب والفؤاد، ولدى الإمام الرباني بثقوب/ نقاط القلب والروح؛ أي إن كليهما يتبنَّيان وجهة النظر نفسها بهذا الشأن.

مما لا شك فيه أن السير سيتواصل بعد ذلك نحو الولاية الصغرى والولاية الكبرى؛ أي إلى أن تصبح قابلية الخلافة فعالة.

ولا نريد هنا الخوض في تفاصيل هذا الأمر لأنه ليس موضوع مقالتنا.

هذه الثقوب/ نقاط السويداء في اللطائف والمؤدية إلى الموت/ الله، لا تُفتح ولا تؤدي وظائفها إلا بذكر الله وبكلمة التوحيد وبالنفي والإثبات.

ومن هذه النقاط التي تُفتح عند الإنسان من خلال الذكر ينعم السالك بالفيض؛ أي يحصل على الغذاء المعنوي للروح والذي يطوره السالك وينميه.

كل صوفي على مشرب مختلف فإن الفيض يأتيه من لطيفة أي من نبي ملائم لمشربه. فالولي في مقام القلب يأتيه فيض من روحانية آدم عليه السلام، أما الذي في مقام الروح فيأتيه الفيض من إبراهيم أو نوح عليهما السلام، ومَن في مقام السر يأتيه من موسى عليه السلام، ومن في مقام الخافي يأتيه من عيسى عليه السلام، ومن في مقام الأخفى يأتيه الفيض من محمد المصطفى ﷺ، وهكذا تتم مسيرة الارتقاء

ويرى الإمام الرباني أن كلاً من نقاط اللطائف الخمس هذه مرتبط بأحد الأنبياء. في أول لطائف القلب المتفتحة/ التي تبدأ بالتفتح يأتي الفيض عبر آدم عليه السلام، وفي الروح عبر إبراهيم أو نوح عليهما السلام، وفي السر موسى عليه السلام، وفي الخافي عيسى عليه السلام وفي الأخفى النبي محمد عليه الصلاة والسلام.

ولأن كل صوفي على مشرب مختلف فإن الفيض يأتيه من لطيفة أي من نبي ملائم لمشربه. فالولي في مقام القلب يأتيه فيض من روحانية آدم عليه السلام، أما الذي في مقام الروح فيأتيه الفيض من إبراهيم أو نوح عليهما السلام، ومَن في مقام السر يأتيه من موسى عليه السلام، ومن في مقام الخافي يأتيه من عيسى عليه السلام، ومن في مقام الأخفى يأتيه الفيض من محمد المصطفى عليه السلام، وهكذا تتم مسيرة الارتقاء.

٤ـ ولادة ولد القلب

يتم الذكر بضرب القلب وخلال الذكر يظهر/ يولد ولد القلب من سويداء القلب.

ويكوِّن ولدُ القلب هذا إنسانيةَ الإنسان وحقيقته وولادته الثانية، وكما قال عيسى عليه السلام فإن الإنسان لا يستطيع مشاهدة ملكوت السماوات إذا لم يُولَد مرتين.

وولادة الإنسان الأولى هي ولادة الجسد المادي؛ أي عندما تلده أمه بمساعدة قابلة، أما الولادة الثانية فهي ولادة الإنسانية الكامنة بداخل الإنسان بمساعدة المرشد الكامل. ويكبر الطفل مع مرور الوقت ويتطور ويتحول إلى إنسان عليه السلام؛ أي إلى خليفة.

يقول الإمام الرباني إن لطائف الإنسان في هذه النقطة تأخذ شكل جسده، ويمكن أن توجد في عدة أماكن في الوقت ذاته.

ولأن الجسد المعنوي للإنسان يسمو على الزمان والمكان، فإنه يتحرك بما يلائم شكل حياته الخاصة وبصورة تعلو على الزمان والمكان. والخلاصة أن الإمام الرباني يرى أن الإنسان ذو الزمان والمكان بوسعه تفعيل لطائفه، لكي يولد بولادة معنوية غير مرتبطة بزمان أو بمكان.

وكما رأينا فإن نقطة السويداء إنما هي جانب الإنسان غير مرتبط بزمان أو بمكان وهو منفتح على عالم الألوهية الذي يسمو على تلك النقطة والإنسان المرتبط بالزمان والمكان.

والإنسان في هذه النقطة في حال ارتباط متسام نوعاً ما مع قلبه المادي، وعند وفاة الإنسان وارتقاءً روحه إلى العالم العلوي، تفتح نقطة السويداء هذه المقفلة لدى الجميع على يد ملك الموت. وتنجلي بهذه الصورة بصيرة الإنسان عندما تذوق كل نفس الموتَ، وتترك روحُه جسدَه للموت كما تقول الآية الكريمة:

﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ (ق: ٢٢)

وتبدأ مشاهدة الغيب:

﴿وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ﴾ (الواقعة: ٨٤)

وهكذا فإن الدرويش يفتح هذه اللطائف، ويرتقي إلى العالم العلوي، ويموت قبل أن يتوفى بالموت الطبيعي، ويقتل نفسه، ويصل إلى مقام المشاهدة، ويرى الحق/ الحقيقة.

ولقد قال النبي عليه الصلاة والسلام طالباً من ربه قبل وفاته:

"يا ربي أرني الأشياء كما هي".

مسكين

مساكين من تركوا الحق واتبعوا الباطل!
مساكين هم العباد الذين فقدوا جوهرهم!...
مسكينة تلك الزهور ومسكينة تلك الأغصان
التي خُدعت بالدفء وتفتحت باكراً!...

لا رويَّة في اللسان ولا صبر في الروح!
لا أثر للمحبة ولا ذرة من الشكر!
لا وفاء في العالم ولا سكينة في القلب!
مسكينة هي الطرقات التي تُتَّبع ثم يُتوقف فيها!

مسكينة هي تلك الألسن التي لا تذكر الله!...
التي تنطق دوماً كذباً وغيبة!...
والتي تخون ولا تفي بوعودها!
والتي تتهجم وتهين الآخرين دونما سأم!

مسكينة تلك الأيدي التي تطال الحرام!..
لا تراعي الحلال وجلّ همها الربح!
والتي مالت أفئدتها واتجهت إلى الحرام!
والتي أحرقت الجميع في سبيل مصالحها!

حقدها كالسم وحسدها كالأثير!
ثقة مهدومة وأدب مهدور!
مسكينة تلك الأموال التي تحترق في جهنم!
التي ترى في السرقة مهارة وفي السلب قيمة!

يعتاد الغربة فلا يعود يتذكر وطنه
يعيش وكأنه مقيم جاهلاً بالبلوى
يشرب (الكوكاكولا) وينفر من اللبن
مسكينة تلك الطوابع التي لا ينتهي ألمها!..

يريد البقاء في الدنيا أبداً
والإثراء دون عناء
والانكباب على التعلم دون عمل
مسكينة تلك السنوات المهدورة عبثاً!...

يا للأسف... لقد أُفسدت العلاقات ونُهبت!
سيبكي من أضاع عمره هباءً منثوراً!
أيها الصامت سيأتي يوم تسير فيه الجبال!
مسكينة ستكون يوم البعث الأحوال!..

خضر عرفان أوندير

اختبارات الذكاء والآخرة

نور الدين يلدز

علينا إمعان النظر في اختبارات الذكاء لا سيما التي تُجرى على الأطفال من حيث أهميتها في رسم مستقبلهم. ونستطيع فهم سعي الآباء إلى تحديد مستوى ذكاء أطفالهم في زمنٍ باتت فيه الشهادة والآمال المنوطة بها هي المكسب الوحيدً في الحياة ، لكن هل نحن نسير إلى مجتمع يقسم فيه الأفراد إلى أذكياء وغير أذكياء؟ هذه القضية قد تكون من القضايا التي تفرق بين البشر كما لو كنا نقسمهم إلى "بيض" و"سود". ونود هنا التأكيد بأن رفضنا التمييز بين البشر ـ الذين خلقهم الله ـ على حسب ألوانهم أو أموالهم أو مستوى ذكائهم هو أمر بديهي لا يحتاج إلى نقاش. إن إجراء اختبار لتحديد مستوى الذكاء في الصفوف الدراسية لقياس جودة التعليم قد يكون أمراً مقبولاً، غير أن إجرائه بغرض تصنيف البشر إلى فئات أمرٌ بغيضٌ لا يقل بغضاً عن تقسيم الناس إلى بيض وسود. وبما أننا لا نتوقع أن يتشكل المجتمع الإنساني من الأذكياء فقط، فإن القبول بما خلقه الله كما خلقه إنما هو من دواعي إيماننا.

ويلفت انتباهنا ثغرةٌ يجب ألا تغيب عنا عند النظر بعين المؤمن إلى اختبارات تحديد مستوى الذكاء السائدة اليوم وما يُبنى عليها من نتائج، فمعظم اختبارات الذكاء مبنية على معرفة الأطفال بالأرقام والرياضيات، وهي في العموم تتناول مهاراتهم وردود أفعالهم فيما يخص الإدراك والتفسير. توضع الدرجات بحسب اهتمام الطفل بالرياضيات وإدراكه لمحيطه القريب لا سيما لأسرته ولمحيطه البعيد ولحالته النفسية، ويتم تحديد مستوى الذكاء من خلال هذا التقييم الذي يكون ناجحاً إلى حد معين.

إلا أننا- أهل الإيمان- لا يسعنا الاكتفاء بإجراء اختبار كهذا على أطفالنا، فهناك نقص لا يمكننا تجاهله. عند إجراء اختبار لتحديد مستوى ذكاء طفل في العاشرة من عمره ـ على سبيل المثال ـ يجب أن يجري بالتوازي مع ذلك الاختبار اختبارٌ آخر لتحديد مستوى صلة ذلك الطفل بالآخرة. إن شعورنا بالسعادة لنتيجة اختبار يعتمد على الأرقام ومدى وعي الطفل بالمحيط فقط، لا يمكن وضعه في نفس الكفَّة مع نتيجة اختبار ذكاء يأخذ بعين الاعتبار حسابات الآخرة. فالأُسَر التي تستمد معنى حياتها من الآخرة لا تنتظر من اختبارات تُعِدُّها أوساط تنفي أو تكاد تنفي وجود الآخرة أن تقرر ما إذا كان طفلها ذكياً أو غير ذكي.

وهنا علينا طرح السؤال التالي: إذا كنا نستمد معنى وجودنا من الآخرة وكانت كل كلمة تصدر عنا مبنية على أساس القبول بهذا الوجود، فكيف يسعنا إذن قبول أمر أو اختبار لا يضع الآخرة بين حساباته؟ إذا كنا نقول بأننا نعد أطفالنا للآخرة، فكيف يسعنا تفسير وصفهم بصفات مثل: "ممتاز، جيد، متوسط، ضعيف" بناءً على اختبارات مبنية على أرقام دنيوية؟ إن هذا يعني هدر أنفسنا ولا شيء آخر.

ثمة خطأ في الإدراك لا بد لنا من تصحيحه، وهذا الخطأ لا وجود له أساساً لمن يعيشون حياتهم طلباً للدنيا. إن اختبارات الذكاء قد تكون كافية لنيل الشهادة والحصول على عمل وتلبية الرغبة في كسب المال وهذا قد يكون كافياً لهم، لكننا- طلاب الآخرة- نؤمن بالجنة والنار وبالصراط والميزان والحشر، وإدراك أطفالنا للآخرة يمثل إحدى غاياتنا. وامتحاننا يجب أن يكون مطابقاً لإدراكنا، فالاختبارات التي تُعد على موائد الآخرين لا تعكس قيمنا.

سيكون هناك من يزعم أنه لا يمكن للأطفال الصغار إدراك الآخرة، وقد يقول قائل: "وهل يدرك الطفل شيئاً من الصراط أو من الميزان؟". لكن وكما يمكن تحويل الأرقام والحسابات المعقدة التي تزخر بها ملفات مكاتب مديري كبرى المصارف إلى أمور يستطيع الأطفال فهمها، فإنه - بالمثل - يمكن جعل الآخرة التي توصف بالبعيدة سهلة الإدراك لعقول الأطفال وأعمارهم ومستوى ذكائهم. وإذا كان ممكناً قياس مستوى ذكاء أطفال الناس العاديين من خلال حسابات غير معروفة، فلا غنى إذن عن وجود أسئلة ووسائل لتحديد مستوى ذكاء طفل الإنسان المؤمن الذي يرى في الآخرة أمراً معروفاً تمام المعرفة.

فلا بد أن يحدد تعليم ومعايير الطفل الذي سيعيش حياته بناء على الإيمان بالآخرة وفقاً لذلك. وإذا استخدمت الوسائل الاعتيادية في تحديد المستويات حتى في مشاريع مثل "تنشئة الشباب المؤمن" وحفظ القرآن، حينها قد لا تكون النتيجة تنشئة جيل شاب يبني حساباته على أساس الآخرة.

إن غاية وجودنا الآخرةُ، لذا فإن استثماراتنا يجب أن تكون لأجلها كذلك. ولا بد أن تكون حساباتنا مبنية على الآخرة لنتمكن من تحقيق آمالنا في الآخرة.

العارف لا يخفى عليه

من منبر الفؤاد يعظ الواعظ
الباكي الذي لا يجف دمعه لا يخفى عليه
يغرق البحر في طوفان الأحزان
من يكوي جرح فؤاده بالنار لا يخفى عليه
العشق سلطان في مدينة الحب
تتطاير أوراقه مع نسائم الخيال
هل من باق في سيل الموت؟
من يصل الليل بالنهار لا يخفى عليه
المدن لا تعيش الحداد من أجل القرى
والأمطار لا تنسى قط الطوفان
إن أنامتنا الأحلام أيقظتنا الحسرة
من يزيت المصباح الصدئ لا يخفى عليه
الأمواج العالية تمسك الراية
عصا موسى تبتلع البحر
ويضم التراب التراب
من يتدفق في بحر اللانهاية لا يخفى عليه
يوم الحشر تجمع الأرواح
هناك يقام عرس الأحبة المفترقين
ينتهي منفى العشاق
من يفهم الحقيقة في ذلك اليوم لا يخفى عليه

محمد باش

خواطر من البعد الثالث!!

❖ كن على يقين، من أن ما حجبه الله عنك من سبل غواية الشيطان، وما عافاك من الاطلاع عليه من مستنقعات البيئات الفاسدة، أضعاف ما واجهك من الفتن والبلايا في هذه الحياة ملايين المرات!! فاحمد الله على نعمة العافية مهما كان ابتلاؤك، وواصل السير على طريق مرضاة الله تعالى؛ فإن كثرة أعداد الهالكين يوم القيامة، كفيلةٌ بالقضاء على أي مظنة للنجاة من أهوال ذلك اليوم!!

❖ أول أسباب تكرار الوقوع في المعصية، هو قبول تكرار وقوع أسبابها!! فلماذا لا تحاول ترك تلك الأسباب وإن صغرت(فهي أرض عذابك) تماماً كما كان للرجل الذي قتل ٩٩ نفساً أرض العذاب، غير أنه تركها، ففاز بالنجاة؟!

❖ أسوأ ما يُبتلى به العبد في هذه الحياة، أن يتعود النصح والإرشاد، وتوجيه الناس إلى الخيرات، ويغفل عن مراقبة أحوال نفسه، للحيلولة بينها وبين الوقوع في الزلات؛ حيث يتحول مع مرور الوقت إلى مجرد مذياع أو مسجل يبعث الصوت، ولكن لا روح فيه!! قال الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون؟! كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون!!).

❖ روح الثبات على التوبة، تتمثل في رفقة أهل الصلاح، حيث بهم تقوى العزائم على الطاعات، وتتباعد عن النفس كافة المثيرات، وتخمد نيران الشهوات، فتواصل النفس مسيرتها على طريق الثبات، فاحرص على رفقة الصالحين ما استطعت، كي تبعث الروح دوماً في ثباتك على صدق التوبة!!

❖ يمثل القلب بتقلباته تمازج العديد من الشخصيات في شخصية واحدة!! والغلبة لا تكون أبداً لشخصية الصلاح إلا إذا أخلص العبد صدق لجوئه إلى الله، وهذا ما يفهم من دعاء النبي ﷺ: (يا مقلب القلوب والأبصار، ثبت قلبي على دينك!!) فأولى ثمرات الثبات على الحق، هي هيمنة الخير على كافة جوارح العبد، حتى يسلم بدينه من الفتن!!

❖ المعصية كهف مظلم، أول ما يوجب على من يلجه كسر ظهره بمذلة فعله، ومن ثم تحميله ثقل ذلك الفعل على ظهره المكسور؛ ليذيقه بحق شؤم وذل المعصية!! فاستشعر ذاك الألم يا رعاك الله قبل الوقوع في المعصية، فإنه حريٌّ والله بأن يعافيك أبد الدهر من ولوج كآبة كهفها!!